

تأليف الإمام المجدد
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

وكتاب القول السديد

في مقاصد التوحيد
للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي رحمه الله
المتوفى سنة ١٣٧٦هـ

طبعة مراجعة مصححة

الناشر
شركة القدس للنشر والتوزيع
٨ شارع جوهر · الدراسة · القاهرة
تليفون: ٢٥٩٢٢٠٥٧ · ٢٥٩٢٩١٥٣



كِتَابُ التَّوْحِيدِ

تأليفُ الإمَامِ المجَدِّد

محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

المتوفى سنة ١٢٠٦هـ

الناشر
شركة القدس للنشر والتوزيع
٨ شارع جوهر - الدراسة - القاهرة
تليفون: ٢٥٩٣٢٠٥٧-٢٥٩٣٩١٥٣

كتاب التوحيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله. نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ الله فلا مُضِلَّ له ومن يُضّلل فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبدُه ورسولُه أما بعدُ:

فيقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾.[الذاريات/ ٥٦]

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل/ ٣٦].

وقوله: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾[الإسراء/ ٢٣].

وقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء/ ٣٦].

وقوله: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام/ ١٥١].

قال ابن مسعود: "مَنْ أراد أن ينظرَ إلى وصية مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم التى عليها خاتمَهُ فليقرأ قوله تعالى:﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ - إلى قوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام/ ١٥١:١٥٣].

عن معاذ بن جبل رضىَ الله عنه قال: "كنتُ رديفَ النبيِّ صلى الله على

حمار فقال لي: يا معاذ؟ أتدرى مَا حَقّ الله عَلى العِبَاد، وَمَا حقُّ العِبَاد عَلى الله؟ قُلْتُ اللهُ ورَسُولُه أَعْلَم، قال: حقُّ الله على العبَاد أن يَعْبُدُوهُ ولا يُشْرِكُوا به شيئًا، وحَقُّ العِبَاد على الله أن لا يُعَذِّب مَنْ لا يُشْرك به شيئًا، قلت: أفلا أُبشِّرُ الناسَ؟ قال: لا تُبشِّرْهُمْ فَيتّكلُوا" أخرجاه فى الصحيحين.

فيه مسائل

الأولى: الحكمة من خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هى التوحيد، لأن الخصومة فيه.

الثالثة: إن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله: ﴿ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾ [الكافرون/ ٥].

الرابعة: الحكمة فى إرسال الرُّسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة: أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت. ففيه معنى قوله:﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ ﴾ [البقرة/ ٢٥٦].

الثامنة: أن الطاغوت عام فى كل ما عبد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات فى سورة الأنعام عند السلف، وفيها عشر مسائل.

أولاها النهى عن الشرك.

والعاشرة: الآيات المحكمات فى سورة الإسراء.

وفيها ثمانى عشر مسألة بدأها الله بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴾ [الإسراء/ ٢٢].

وختمها بقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء/ ٣٩].

ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ﴾ [الإسراء/ ٣٩].

الحادية عشرة: آية سورة النساء التى تسمى آية الحقوق العشرة بدأها الله تعالى بقوله: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء/ ٣٦].

الثانية عشرة: التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته.

الثالثة عشرة: معرفة حَقِّ الله علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حَقِّ العباد عليه إذا أَدَّوْا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسئول عما لا يعلم: (الله ورسوله أعلم).

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية العشرون: تواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدَّابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

باب فضل التَّوحيد وما يُكَفِّر من الذنوب

وقول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام/ ٨٢]. عن عُبادة بن الصَّامت قال: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ شَهِدَ أن لا إِلَه إِلَّا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ وأنَّ مُحَمَّدًا عبدُه ورسولُه وأنَّ عيسى عَبدُ الله ورسُوله وكلمتُه ألقاهَا إلى مريم وروح منه. والجنَّةُ حقٌّ والنارُ حق: أدخلَهَ الله الجَنَّةَ على ما كان من العمَلِ. أخرجاه. ولهما في حديث عتبان: (فإن الله حَرَّمَ عَلَى النار من قال: لا إله إِلَّا الله يَبْتَغِي بذلك وجْهَ الله).

وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: "قال مُوسَى يا ربِّ عَلِّمْني شيئاً أذكُرُك وأدعوكَ بِهِ. قال: قُل يا مُوسَى لَا إِله إِلَّا الله. قال يا ربِّ. كُلُّ عِبَادِك يقولون هَذَا. قال: يا مُوسَى لَوْ أن السَّمَواتِ السَّبْعَ وعَامِرَهُنَّ ـ غيري ـ والأَرَضينَ السبْع في كفَّة ولا إِله إِلَّا الله في كفة: مَالتْ بِهِنَّ لا إِله إِلَّا الله" رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

وللترمذي ـ وحسنه ـ عن أنس سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: قال الله تعالى: يا ابْنَ آدَم. لَوْ أتيتَنِي بقُراب الأرضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشرِكُ بي شَيئًا لأتيتُكَ بقرابها مَغْفِرةً.

فيه مسائل

الأولى: سعة فضل الله.

الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله.

الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب.

الرابعة: تفسير الآية التي في سورة الأنعام.

الخامسة: تأمل الخمس اللَّواتى فى حديث عبادة.

السادسة: أنك إذا جمعت بينه وبين حديث عتبان وما بعده تبين لك معنى قول "لا إله إلا الله" وتبين لك خطأ المغرورين.

السابعة: التنبيه للشرط الذى فى حديث عتبان.

الثامنة: كون الأنبياء يحتاجون للتنبيه على فضل "لا إله إلا الله".

التاسعة: التنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات، مع أن كثيرًا ممن يقولها يخف ميزانه.

العاشرة: النص على أن الأرضين سبع كالسموات.

الحادية عشرة: أن لَهُنَّ عُمَّارًا.

الثانية عشرة: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية.

الثالثة عشرة: أنك إذا عرفت حديث أنس عرفت أن قوله فى حديث عتبان "فإن الله حَرَّم على النَّار مَنْ قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وَجْهَ الله" أنه تَرْكُ الشِرْك، ليس قولها باللِّسان.

الرابعة عشرة: تأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبدى الله ورسوليه.

الخامسة عشرة: معرفة اختصاص عيسى بكونه كلمة الله.

السادسة عشرة: معرفة كونه روحا منه.

السابعة عشرة: معرفة فضل الإيمان بالجنة والنار.

الثامنة عشرة: معرفة قوله "على ما كان من العمل".

التاسعة عشرة: معرفة أن الميزان له كفتان.

العشرون: معرفة ذكر الوجه.

باب من حق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل/ ١٦] وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون/ ٢٣]

عن حصين بن عبد الرحمن قال: "كنتُ عند سعيد بن جُبيْر فقال: أيكم رأى الكوكبَ الذي انقضَّ البارحةَ؟ فقلت: أنا، ثم قلت أما إني لم أكن فى صلاة: ولكنى لُدِغْتُ. قال فما صَنَعْتَ؟ قلت: ارتقيْتُ. قال: فما حَمَلَكَ على ذلك؟ قلتُ: حديث حدثناه الشعبى، قال: وما حدثكم؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحيب أنه قال: لا رُقْيَةَ إِلَّا مِنْ عيْنٍ أوْحُمَة، قال أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكنْ حدثنا ان عباس عن النبى ﷺ أنه قال: عُرِضَتْ علىَّ الأسم، فرأيتُ النبىَّ ومعه الرَّهْطُ، والنبىَّ معه الرجل والرجلان، والنبىَّ وليس معه أحَدٌ إذ رُفع لى سوادٌ عظيم فظننت أنهم أمتى: فقيل لى هذا موسى وقومُه فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك، ومعهم سبْعُون ألفًا يَدْخُلُون الجنة بغير حساب ولا عَذَاب". ثم نهض فدخل منزله فخاضَ الناسُ فى أولئك، فقال بعضُهم فلعلهم الذين صَحِبُوا رسولَ الله ﷺ وقال بعضهم: فلعلهم الذين وُلِدُوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئًا. وذكرُوا أشيَاء فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه فقال: "وهم الذين لا يَسْتَرْقُونَ ولا يكْتَوُوْن ولا يَتطيَّرُوْن. وعلى ربهم يَتَوَكَّلُونَ" قال عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يَجْعَلَنِى منهم فقال: أنت منهم. ثم قال رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم فقال: سبقك بها عكاشة.

فيه مسائل

الأولى: معرفة مراتب الناس فى التوحيد.

الثانية: ما معنى تحقيقه.

الثالثة: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين.

الرابعة: ثناؤه على سادات الأولياء بسلامتهم من الشرك.

الخامسة: كون ترك الرُّقية والكى من تحقيق التوحيد.

السادسة: كون الجامع لتلك الخصال هو التوكل.

السابعة: عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل.

الثامنة: حرصهم على الخير.

التاسعة: فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية.

العاشرة: فضيلة أصحاب موسى.

الحادية عشرة: عرض الأمم عليه، عليه الصلاة والسلام.

الثانية عشرة: إن كل أمة تحشر وحدها مع نبيها.

الثالثة عشرة: قلة من استجاب للأنبياء.

الرابعة عشرة: أن من لم يجبه أحد يأتى وحده.

الخامسة عشرة: ثمرة هذا العلم وهو عدم الاغترار بالكثرة وعدم الزُّهد فى القلة.

السادسة عشرة: الرخصة فى الرُّقية وفي العين والحمة.

السابعة عشرة: عمق علم السَّلَف لقوله (قد أحسن من انتهى إلى ما سمع ولكن كذا وكذا) فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثانى.

الثامنة عشرة: بُعْدُ السَّلف عن مدح الإنسان بما ليس فيه.
التاسعة عشرة: قوله (أنت منهم) علم من أعلام النبوة.
العشرون: فضيلة عكاشة.
الحادية والعشرون: استعمال المعارضين.
الثانية والعشرون: حسن خلقه ﷺ.

باب الخوف من الشرك

وقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/ ٤].

وقال الخليل عليه السلام: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم/ ٣٥].

وفي الحديث "أَخْوَفُ مَا أَخَاف عَلَيْكُم الشِّرْكَ الأَصْغرَ فَسُئِلَ عنْهُ؟ فقال: الرِّياءُ".

وعن ابن مسعود رضى الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: (مَنْ مَات وهو يَدْعُو من دُون الله نِدًّا دَخَلَ النَّار). رواه البخارى.

ولمسلم عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (من لقى الله لا يشْرِك به شيئًا دخل الجنة. ومنْ لقيهُ شرك به شيئًا دخل النار).

فيه مسائل

الأولى: الخوف من الشرك.
الثانية: أن الرِّياء من الشرك.
الثالثة: أنه من الشرك الأصغر.

الرابعة: أنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين.

الخامسة: قرب الجنة والنار.

السادسة: الجمع بين قربهما فى حديث واحد.

السابعة: أنه من لقيه لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئًا دخل النار ولو كان من أعبد الناس.

الثامنة: المسألة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام.

التاسعة: اعتباره بحال الأكثر لقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [إبراهيم/ ٣٦]

العاشرة: فيه تفسير (لا إله إلا الله) كما ذكر البخارى.

الحادية عشرة: فضيلة من سلم من الشرك.

باب الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف/ ١٢].

عن ابن عباس رضى الله عنهما (أَنَّ رسُوَل الله ﷺ لما بَعَثَ مُعاذًا إلى اليمن قال له: إنك تأتى قومًا منْ أهل الكتاب. فَلْيَكُن أَوَّلَ ما تدْعُوهُم إليه شهادةُ أن لا إله إلَّا الله).

وفى رواية: (إِلى أن يُوحِّدوُا الله - فَإِنْ هُمْ أطاعُوكَ لذلك فأَعِلمْهم أن الله افتَرَض عليهم خمس صَلَوَات فى كلِّ يَوْمٍ وليلة، فإنه هُمْ أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم صدقةً تُؤخذُ من أغنيائهم فَتُرَدُّ على فُقرائهم. فإنْ هم أطاعوك لذلك فإيَّاك وكرائم أموالهم. واتَّق دعْوَة المظْلُوم. فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) أخرجاه.

ولهما عن سَهْل بن سَعْد رَضِيَ الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبر (لَأُعْطِيَنَّ الرَّاية غدًا رَجُلًا يُحبُّ اللهَ ورَسُولهُ. ويحبه اللهُ ورسولُه، يفتحُ الله على يدَيْهِ. فبات الناسُ يَدُركُون ليلَتَهُم. أيهُمْ يُعْطَاهَا. فلما أصبَحُوا غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهُم يرجوا أن يُعْطَاهَا. فقال: أيْنَ على ابن أبى طالب؟ فقيل: هو يشتكى عَيْنَيْه. فأرْسَلُوا إليه فأتىَ بِهِ فبصق فى عَيْنَيْه ودَعَا له...

فبَرِئ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الرايةَ: فقال: انفذْ على رِسلكَ، حتى تنزل بسَاحتهم، ثم أدعُهُم إلى الإسْلام. وأخْبِرهُم بِمَا يجبُ عليهم منْ حَق الله تعَالى فيه فوالله لأن يَهْدِيَ الله بك رَجُلًا واحِدًا خيرٌ لك من حُمرِ النَّعَمِ) يَدُوكُونَ: أى يخُوضون.

فيه مسائل

الأولى: أن الدّعوة إلى الله طريق من اتبع رسولَ الله ﷺ.

الثانية: التنبيه على الإخلاص؟ لأن كثيرًا من الناس لو دَعَا إلى الحق فهو يَدْعُو إلى نفسه.

الثالثة: أن البصيرة من الفرائض.

الرابعة: مِنْ دلائل حُسْنِ التوحيد كونه تنزيهًا لله تَعَالَى عن المَسَبَّةِ.

الخامسة: أن مِنْ قُبْحِ الشرك كونه مَسَبَّةً لله.

السادسة: وهى من أهمها إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك.

السابعة: كون التوحيد أول واجب.

الثامنة: أنه يَبْدأ به قبل كل شئ حتى الصلاة.

التاسعة: أن مَعْنَى (أن يُوَحِّدُوا الله) معنى شهادة أن لَّا إِلَّهَ إِلَّا الله.

العاشرة: أن الإنسَان قد يَكون مِنْ أهلِ الكتاب وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها.

الحادية عشرة: التنبيه على التعليم بالتدريج.

الثانية عشرة: البداءة بالأَهَمَّ فالأَهَمَّ.

الثالثة عشرة: مَصْرِفُ الزكاة.

الرابعة عشرة: كشفُ العالم الشبهة عن المتعلم.

الخامسة عشرة: النّهيُ عَنْ كرائِم الأموال.

السادسة عشرة: اتقاء دَعوةِ المظلوم.

السابعة عشرة: الإخبارُ بأنّها لا تُحْجَبُ.

الثامنة عشرة: مِنْ أدلة التوحيد ما جَرَى عَلَى سَيِّد المرسلين. وسَادَات الأولياءِ منَ المشقة والجوُع والوباء.

التاسعة عشرة: قوله (لأُعْطِينَّ الرَّايةَ) الخ. علم من أعلام النبوة.

العشرون: تفله فى عينه علم من أعلامها أيضًا.

الحادية والعشرون: فضيلة عَلِيٍّ رضِيَ الله عنه.

الثانية والعشرون: فضل الصَّحابة فى دَوْكِهِم تِلْك اللَّيلَةَ. وشغلهم عَنْ بشارة الفتح.

الثالثة والعشرون: الإيمانُ بالقَدَرِ، لحصُولها لِمن لم يَسْعَ لَهَا ومَنْعِهَا عَمَّن سَعَى.

الرابعة والعشرون: الأدبُ فى قوله على رسلك.

الخامسة والعشرون: الدَّعْوة إلى الإسلام قبل القتال.

السادسة والعشرون: أنهُ مشرُوع لمن دُعُوا قبل ذلك وقوتلوا.

السابعة والعشرون: الدَّعْوة بالحكمة لقوله (أَخبِرْهم بِمَا يَجبُ).

الثامنة والعشرون: المعرفة بحَقِّ الله فِي الإِسْلَام.

التاسعة والعشرون: ثوابُ مَنْ اهْتَدَى عَلَى يَدَيْه رَجُلٌ وَاحِد.

الثلاثون: الحَلِفُ عَلَى الفتيا.

باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

وقولُ الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ ﴾ [الإسراء/ ٥٧].

وقوله: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [الأنعام/ ٦].

وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة/ ٩].

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (مَنْ قَالَ لَا إله إِلَّا اللهُ وكفرَ بمَا يُعْبَدُ مِن دُون الله حرُم ما لُهُ ودمُهُ، وحِسَابه عَلى الله عَزَّ وَجَلَّ).

وشرح هذه الترجمة ما بَعْدَهَا مِنَ الأبواب.

فيه أكبر المسائل وأهمها ـ

وهي تفسير التوحيد ـ وتفسير الشهادة

وبَيَّنَهَا بأمُور وَاضِحَة.

وِمَنها آية الإسْراء. بُيِّن فيهَا الرد عَلَى المشرِكِينَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّالحين، ففيها بيان أنَّ هَذا هو الشرك الأكبر.

ومنها آيَة براءة بَيَّن فيها أنَّ أهْلَ الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

وبَيَّن أنهم لم يُؤمَرُوا إلَّا بأن يَعْبُدُوا إلهًا واحدًا مع أنَّ تفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لادُعَاءَهُمْ إيَّاهُم.

ومنهَا قول الخليل عليه السلام للكفار ﴿ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾ [الزخرف/ ٢٦] فاستثنى مِنْ المعبودين رَبَّه.

وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهَذه الموالاة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله فقال ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف/ ٢٨] ومنهَا آيَة البقرَة فى الكفار الذينَ قال الله فيهم ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة/ ١٦٧] ذكر أنهم يحبون أندَادَهم كحب الله، فَدَل على أنهم يحبُّون الله حُبًّا عظيمًا، ولم يدخلهم فى الإسلام، فكيف بمن أحبَّ النِدَّ أكبرَ مِنْ حُبِّ الله؟، وكيف بمَنْ لم يحب إلا النِدَّ وَحْدَه ولم يحب الله؟.

ومنها قوله ﷺ (مِنْ قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعْبَدُ من دون الله حرم ماله ودمه وحسَابه على الله).

وهذا مِنْ أعْظَمِ مَا يُبَيِّنُ مَعْنَى - لَا إِلَه إِلَّا الله - فَإِنَّه لم يَجْعَل التلفظ بهَا عَاصِمًا للدم والمال، بل ولا معرفة معْنَاها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذَلك، بل ولا كونه لا يَدْعو إِلَّا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيفَ إلى ذلك الكفرَ بمَا يُعْبَدُ مِنْ دُون الله، فَإن شك أو توقّفَ لم يحرم ماله

ودمه، فيالَهَا من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيانٍ ما أوضحه، وحجة ما أقطعها للمنازع.

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

وقول الله تعالى ﴿ قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ ﴾ [الزمر/ ٣٨].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رَجُلًا في يده حلقة من صفر فقال: ما هذه؟ قال: مِنَ الوَاهِنَةِ. فقال: انزعها فإنَّها لا تزيدُك إلَّا وَهنًا. فَإنك لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ ما أفلحْت أبدًا) رواه أحمد بسند لا بأس به.

وله عن عقبة بن عامر مرفوعًا "مَنْ تَعَلق تَمِيمَةً فَلَا أتمَّ اللهُ لهُ، ومن تَعَلَّق ودَعَةً فلا ودع اللهُ لهُ".

وفي رواية "من تعلق تميمة فقد أشرك".

ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴾ [يوسف/ ١٠٦].

فيه مسائل

الأولى: التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك.

الثانية: أن الصَّحابي لو مات وَهَي عليه ما أفلح. فيه شاهد لكلام الصحابة أنَّ الشِّرك الأصغر أكبَرُ من الكبائر.

الثالثة: أنه لم يُعْذَرْ بالجهالة.

الرابعة: أنها لا تنفع فى العَاجِلَةِ بَل تضر، لقوله (لا تزيدك إلا هنا).

الخامسة: الإنكار بالتغليظ على مَنْ فعل مثل ذلك.

السادسة: التَّصْريح بأن من تعلق شيئًا وكل إليه.

السابعة: التصريح بأن من تعلق تميمة فقد أشرك.

الثامنة: أن تعليق الخيط من الحمى من ذلك.

التاسعة: تلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التى فى الشرْك الأكْبَر على الأصْغر، كما ذكر ابن عباس فى آية البقرة.

العاشرة: أن تعليقَ الودَع من العين من ذلك.

الحادية عشرة: الدعاء على من تعلق تميمةً أن الله لا يتم له، ومن تعلق وَدَعَةً فلا وَدَعَ اللهُ له. أى ترك الله له.

باب ما جاء من الرُّقى والتمائم

فى الصحيح: عن أبى بشير الأنصاريِّ رضىَ الله عنه: (أنه كان مَعَ رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، فأرْسَلَ رَسُولًا أن لا يَبْقَيَنَّ فى رقبةِ بَعيرٍ قِلَادةٌ مِنْ وَتَرا وقلادةٌ إلا قُطِعَتْ).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: "إن الرَّقُى والتَّمائمَ والتِّوَلَة شِرْكٌ" رواه أحمد وأبو داود.

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: "مَنْ تَعَلَّقَ شَيئًا وُكِلَ إِلَيْه". رواه أحمد والترمذى.

"التمائم شئ يُعَلَّق على الأولادِ يَتَّقُونَ به من العين. ولكن إذا كان المُعَلَّقُ

من القرآن فَرَخَّصَ فِيهِ بعضُ السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه، منهم ابن مسعود رضى الله عنه. "والرُّقَى" هى التى تُسَمَّى العَزَائم، وخَصَّ مِنهَا الدَّلِيلُ مَا خَلَا مِنَ الشرك فقد رَخَّصَ فيه رسُولُ الله ﷺ من العين والحمة.

و "التِّوَلة" هى شئ يَصْنعُونه يَزْعُمُون أنه يُحَبِّبُ المرأة إلى زوجها والرجلَ إلى امرأتِهِ.

وروى أحمد عن رُويفع قال: قَاَلَ لى رسُولُ الله ﷺ: "يا رُوَيفِع لَعَلّ الحَيَاة سَتَطُول بِكَ فأُخبِرْ النَّاسَ أنَّ مَنْ عَقَدَ لِحيَتَهُ أَو تَقَلَّدَ وتَرًا أو استنجى برجيع دآبة أو عظم فَإن مُحَمَّدًا بَرِئٌ منه".

وعن سعيد بن جبير قال:

"مَنْ قطع تَمِيمَة إِنسان كَانَ كَعَدلِ رَقَبَةٍ" رواه وكيع.

وله عَنْ إبراهيم قال:

كانوا يكرَهُونَ التمائمَ كلَّها مِنَ القرآن وغير القرآن.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الرقى التمائم.

الثانية: تفسير التولة.

الثالثة: أن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء.

الرابعة: أن الرقية بالكلام الحق من العين والحمة ليس من ذلك.

الخامسة: أن التميمة إذا كانت من القرآن، فقد اختلف العلماء هل هى من ذلك أم لا؟

السادسة: أن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك.

السابعة: الوعيد الشديد على مَنْ علّق وترًا.

الثامنة: فضل ثواب من قطع تميمة من إنسان.

التاسعة: أن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود.

باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم/ ١٩].

عن أبي واقد الليثي قال: "خرجْنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر! وللمشركين سِدرَة يعكفون عندها وَيَنُوطُون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط! فمَرْرنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنَا ذات أنواط ! كمَا لهم ذات أنوط. فقال ﷺ : "اللهُ أكبَرَ إنهَا السُّنَن قُلْتم - والذي نفسي بيَدِه - كمَا قالت بَنُو إسرائيل لموسى: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم" رواه الترمذي وصححه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النجم.

الثانية: معرفة صورة الأمر الذي طلبوا.

الثالثة: كونهم لم يفعلوا.

الرابعة: كونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبه.

الخامسة: أنهم إذا جهلوا هذا فغيرهم أولى بالجهل.

السادسة: أنَّ لهم مِنَ الحسنات والوَعْدِ بالمغفرة ما ليس لغيرهم.

السابعة: أن النبى ﷺ لم يَعْذُرْهم ! بل رَدَّ عليهم بقوله: "الله أكبر إنها السنن لتتبعُنَّ سنن من كان قبلكم" فغلظ الأمر بهذه الثلاث.

الثامنة: الأمر الكبير وهو المقصود أنه أخبر أن طلبهم كطلب بني إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهًا.

التاسعة: أن نفى هذا من معنى (لا إله إلا الله) مع وقته وخفائه على أولئك.

العاشرة: أنه حَلَفَ على الفتيا وهو لا يحلف إلَّا لمصلحة.

الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر، لأنهم لم يرتدوا بهذا.

الثانية عشرة: قوله (ونحن حدثاء عهد بكفر) فيه أن غيرهم لا يجهل ذلك.

الثالثة عشرة: التكبير عند التعجب خلافًا لمن كرهه.

الرابعة عشرة: سد الذرائع.

الخامسة عشرة: النَّهْىُ عن التشبه بأهل الجاهلية.

السادسة عشرة: الغَضَبُ عند التعليم.

السابعة عشرة: القاعدة الكلية. لقوله (إنها السنن).

الثامنة عشرة: أن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر.

التاسعة عشرة: أن كلَّ ما ذَمَّ الله به اليهودَ والنصَارى فى القرآن انه لنا.

العشرون: أنه مقرر عندهم أن العبادات مَبْنَاها على الأمر فصار فيه

التنبيه على مسائل القبر أما من ربك فواضح وأما من إخباره بأنباء الغيب، وأما ما دينك فمن قولهم (اجعل لنا إلهًا الخ).

الحادية والعشرون: أن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين.

الثانية والعشرون: أن المنتقلَ مِنَ الباطل الذي اعتاده قلبُه لا يُؤمَنُ أن يكون في قلبه بقيةٌ من تلك العادة، لقولهم (ونحنُ حُدثاءُ عهْد بكفر).

باب ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ [الأنعام/ ١٦٢].

وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [سورة الكوثر].

عن عَليٍّ رضي الله عنه قال: "حدثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلمات: لَعَنَ اللهُ منْ ذَبح لِغَيْرِ الله، لَعَنَ الله مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ، لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا، لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ منار الأرض" رواه مسلم.

وعن طارق بن شهاب أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: "دَخَلَ الجنَّةَ رجُلٌ في ذباب، ودخل النارَ رجُلٌ في ذباب، قالوا كيف ذلك يا رسول الله؟ قال: مرَّ رجُلان عَلى قَوْم لهم صَنَمٌ لا يجُوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئًا، فقالوا لأَحَدِهمَا قرِّب فقال ليس عندي شيء أقرِّبُ قالوا له: قَرِّبْ ولو ذُبَابًا، فقرَّبَ ذُبابًا، فَخَلَّوْا سبيلَه فَدَخَل النَّارَ وقالوا للآخر: قَرِّب.. قال: ما كنتُ لأُقرِّبَ لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجل، فضَرَبُوا عنقَه فدخلَ الجَنَّةَ" رواه أحمد.

فيه مسائل

الأولى: تفسير ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى ﴾

الثانية: تفسير ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾

الثالثة: البداءة بلعنة من ذبح لغير الله.

الرابعة: لَعْن من لعن والدَيْهِ، ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك.

الخامسة: لَعْن من آوى مُحدثًا. وهو الرجل يحدث شيئًا يجب فيه حق الله، فيلتجئ إلى من يجيره من ذلك.

السادسة: لعْن من غير منَارَ الأرض، وهى المراسيم التى تفرق بين حقك وحق جارك من الأرض. فتغيرها بتقديم أو تأخير.

السابعة: الفرق بين لعن المعين ولعن أهل المعاصي على سبيل العموم.

الثامنة: كونه دَخَل النار بسبب ذلك الذي لم يقصده بل فعله تخلّصًا من شرِّهم.

التاسعة: معرفة قدر الشرك فى قلوب المؤمنين، كيف صبر ذلك على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم، مع كونهم لم يطلبُوا إلا العمل الظاهر.

العاشرة: أن الذي دَخَلَ النَار مسلم، لأنه لو كان كافرًا لم يقل دخل النار فى ذباب.

الحادية عشرة: فيه شاهد للحديث الصحيح "الجنةُ أَقرَبُ إِلى أحدكم من شراك نعله، والنار مثل ذلك".

الثانية عشرة: معرفة أن عمل القلبِ هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الأصنام.

باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله

وقول الله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة/ ١٠٨].

وعن ثابت بن الضحَّاك رضى الله عنه قال: "نَذَرَ رجلٌ أن ينحر إبلًا ببوانه، فسأل النبي ﷺ فقال: هَلْ كان فيها وَثَنٌ مِنْ أوثان الجَاهِلِيّةِ يُعْبد؟ قالوا: لَا. قال: فهل كان فيها عيدٌ من أعيَادهم؟ قالوا: لا. فقال رسولُ الله ﷺ: أَوْفِ بِنَذْرِك، فإنه لا وَفَاء لنَذْر فى معصَية الله ولا فيمَا لا يَمْلكُ ابنُ آدم" رواه أبو داود واسناده على شرطهما.

فيه مسائل

الأولى: تفسير قوله ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ .

الثانية: أن المعصية قد تُؤثّر فى الأرض، وكذلك الطاعة.

الثالثة: رد المسألة المشكلة إلى المسألة البينة ليزول الإشكال.

الرابعة: استفصال المفتى إذا احتاج إلى ذلك.

الخامسة: أن تخصيصَ البقعةِ بالنذر لا بَأسَ به إذا خَلاَ من الموانع.

السادسة: المنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله.

السابعة: المنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله.

الثامنة: أنه لا يَجُوز الوفاء بما نذر فى تلك البقعة لأنه معصية.

التاسعة: الحذر من مشابهة المشركين فى أعيادهم، ولو لم يقصده.

العاشرة: لا نَذْرَ فى مَعْصِيةٍ.

الحادية عشرة: لا نَذْر لابن آدم فيمَا لا يملك.

باب من الشرك النذرُ لغير الله

وقول الله تعالى ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ ﴾ [الإنسان/ ٧].

وقوله ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ﴾ [البقرة/ ٢٨٠].

وفي الصَّحيح عنْ عَائشةَ رَضِيَ الله عنْهاَ أن رَسُولَ الله ﷺ قال: "مَنْ نَذَرَ أن يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، ومَنَ نَّذَرَ أن يَعْصِيَ الله فلَا يعْصِه".

فيه مسائل

الأولى: وجوبُ الوفاء بالنذر.

الثانية: إذا ثبتَ كونه عِبَادة لله فَصَرْفُهُ إلى غيره شرك.

الثالثة: أنَّ نذْر المعصية لا يجوز الوفاء به.

باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

وقول الله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن/ ٦].

وعن خولة بنت حكيم رضيَ الله عَنْها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: مَنْ نَزَلَ منزلًا، فقال أعوذُ بكلمَاتِ الله التَّامَّاتِ من شَرِّ ما خَلَقَ، لم يَضُرَّه شَيءُ حَتَّى يرْحلَ منْ مَنزلِهِ ذلك. رواه مسلم.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الجن.

الثانية: كونه من الشرك.

الثالثة: الاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء يَسْتَدِلُّون به على أن كلمات الله غير مخلوقة، قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك.

الرابعة: فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره.

الخامسة: أن كون الشيء يحصلُ به منفعة دنيوية، من كفٌ شرٌ أو جَلْبِ نفعٍ لا يدل على أنه ليسَ مِنْ الشرك.

باب من الشر أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

وقول الله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [يونس/ ١٠٦].

وقوله: ﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ ﴾ [العنكبوت/ ١٧].

وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأحقاف/ ٥].

ورَوَى الطبَراني بإسنَادِهِ: أنَّه كانَ في زمن النبيِّ ﷺ مُنافقٌ يُؤذي المُؤمنينَ فقال بعْضُهم قومُوا بنَا نَسْتَغِيث برَسُولِ الله ﷺ من هذا المُنَافقِ فقال النبيُّ ﷺ: إنه لا يُسْتَغَاثُ بي وإنما يُسْتغاثُ بالله.

فيه مسائل

الأولى: أنَّ عطفَ الدُّعَاءِ عَلىٰ الاستغاثة من عطف العام على الخاص.

الثانية: تفسير قوله ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾

الثالثة: أن هَذا هُوَ الشرك الأكبر.

الرابعة: إن أصْلح الناس لو يفعله إرضاءً لغيرهِ صار من الظالمين.

الخامسة: تفسير الآية التى بعدها.

السادسة: كون ذلك لا ينفع فى الدنيا مع كونه كفرًا.

السابعة: تفسير الآية الثالثة.

الثامنة: أن طلب الرزق لا ينبغى إلَّا مِن الله، كما أن الجنة لا تطلب إلا منه.

التاسعة: تفسير الآية الرابعة.

العاشرة: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الحادية عشرة: أنه غافلٌ عن دُعَاءِ الدّاعِى لا يَدْرِى عنه.

الثانية عشرة: أن تلك الدَّعْوَة سببٌ لبعض المَدْعُو للداعى وعداوته له.

الثالثة عشرة: تسمية تلك الدَّعوة عبَادة للمدعُوّ.

الرابعة عشرة: كفر المَدعوّ بتلك العبادة.

الخامسة عشرة: أن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس.

السادسة عشرة: تفسير الآية الخامسة.

السابعة عشرة: الأمر العجيب وهو إقرار عَبَدَةِ الأوثان بأنه لا يجيب المضطرّ إلا الله، ولأجل هذا يدعُونَهُ فى الشدائد مخلصين له الدين.

الثامنة عشرة: حماية المصطفى ﷺ حِمَى التَّوْحِيد والتأدب مع الله.

عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضا من العقل، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره بل الكل فقراء إلى الله فى كل شؤونها.

باب قول الله تعالى

﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا ﴾ [الاعراف/ ١٩١].

وقولـه ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ [فاطر/ ١٣].

وفى الصَّحيح عن أنس قال: "شُجَّ النبيُّ ﷺ يومَ أُحُدٍ وكُسِرَتْ رَبَاعيتُه، فقال: كَيْفَ يُفْلِحُ قَومٌ شَجُّوا نَبِيَّهم؟ فنزلت: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران/ ١٢٨].

وفيه عن ابن عمرَ رضى اللهُ عنهما: أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ. إذا رفع رأسَه من الركوع فى الركعة الأخيرَة من الفجر "اللهم العن فلانًا وفلانًا: بعدما يقول: سَمِعَ الله لمن حَمِدَه رَّبنا وَلَكَ الحمدُ" فأنزلَ الله ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وفى رواية: يَدْعُو عَلَى صَفْوان بْنِ أميَّة وسُهَيلْ بن عَمْرو والحَارث بْن هِشَام، فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾.

وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال قام رسولُ الله ﷺ حين أُنزِلَ عَلَيْهِ: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء/ ٢١٤] فقال: يَا مَعْشَرَ قُرَيشٍ، أو كلمةَ نحوَها ـ اشْتَرُوا أنفسَكم لَا أُغني عَنكُم مِنَ الله شيئًا، يا عبَّاسُ بنَ عَبْدِ المُطَّلِب لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ الله شيئًا، يا صفيةُ عمَةَ رسولِ الله ﷺ، لا أُغْنِي عَنْكِ، مِنَ الله شيئًا، ويا فاطمةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي من مَالِي ما شئت لا أُغْنِي عَنْكِ من الله شَيْئًا.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيتين.

الثانية: قصة أحد.

الثالثة: قُنُوت سيد المرسلين وخلفه ساداتُ الأولياءِ يُؤمِّنُون فى الصلاة.

الرابعة: أن المدعو عليهم كفار.

الخامسة: أنهم فَعَلوا أشياء ما فَعَلَها غالبُ الكفار منها: شجُّهُم نَبِيَّهُم وحرصُهُم على قتله، ومنها التمثيلُ بالقتلى مع أنهم بنو عمهم.

السادسة: أنزل اللهُ عليه فى ذلك ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ ﴾.

السابعة: قوله ﴿ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ ﴾.

الثامنة: القنوت فى النزول.

التاسعة: تسمية المدعُوِّ عليهم فى الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم.

العاشرة: لعْن المُعين فى القنوت.

الحادية عشرة: قصته ﷺ لما أُنزل عليه ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾.

الثانية عشرة: جده ﷺ فى هذا الأمر بحيث فعل ما نُسِب بسببه إلى الجنون، وكذلك لو يفعله مسلم الآن.

الثالثة عشرة: قوله للأبعد والأقرب "لا أُغنِي عَنْكَ مِنَ الله شيئًا" حتى قال "يا فاطِمَةُ بنتَ محمد لا أغني عنك من الله شيئًا" فإذا صرح ـ وهو سيد المرسلين ـ بأنه لا يغني شيئًا عن سيدة نساء العالمين، وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق، ثم نظر فيما وقع فى قلوب خواصِّ الناس اليوم، تبين له التوحيد وغربة الدين.

باب قبول الله تعالى

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [سبأ/ ٢٣].

وفى الصَّحيح عن أبي هُرَيْرَة رَضِيَ الله عَنْهُ عن النبي ﷺ قال "إذا قضىَ اللهُ الأمرَ في السَّمَاءِ ضَرَبتْ الملائكةُ بأجنحَتِهَا خُضْعَانًا لقوله كأنه سِلْسِلَةٌ عَلَى صَفْوانٍ ينفذهــم ذلك، حتى إذَا فُزِّعَ عـن قلُوبهـم قالُوا: ماذا قَالَ رَبكم؟ قالوا: الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكبير، فيسْمعها مُسْتَرِقُ السَّمْعِ، ومُسْتَرِقُ السَّمْعِ: هكذا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْض، وصفهُ سفيانٌ بكفه، فَحَرَّفَهَا وبدَّد بين أصَابِعِهِ فيسمع الكلمةَ فيلقيهَا إلى مَنْ تَحْتَهُ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لِسَان السَّاحر أو الكاهن، فَرُبَّمَا أدركه الشهابُ قبل أن يُلقيها. وربما ألقاهَا قبلَ أن يُدْركه، فيكذب معها مائةَ كذبة، فَيقال أَلَيْسَ قد قال لنَا يَوْمَ كذا وكذا كذا وكذا: فَيُصَدَّقُ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ التي سُمِعَتْ من السَّماء).

وعن النَّواس بن سمعان رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذَا أراد اللهُ تَعَالى أن يُوحِيَ بالأمْرِ وتكلم بالْوَحِيْ، أخذت السموات منه رجفةً ـ أو قال ـ رعدةً شديدةً ـ خوفًا من الله عز وجل فإذا سمع ذلك أهلُ السَّموات صُعِقُوا وخَرُّوا لله سُجَّدًا، فيكـون أولَ مَنْ يرفعُ رأسـه جبريـلُ فيكلمـهُ اللهُ مـن وحيه بما أرَادَ، ثم يمر جبريـلُ على المَلائكةِ: كلما مرَّ بسمَاءٍ سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُّنا يا جبريل، فيقول قال: الحَقّ وهُوَ العليُّ الكبيرُ. فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ، فينتهي جبريلُ بالوحْي إلى حيثُ أمَرَه اللهُ عَزَّ وجل).

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما فيها من الحجة على إبطال الشرك، خصوصًا من تعلق على الصالحين، وهي الآية التى قيل أنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب.

الثالثة: تفسير قوله ﴿ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[سبأ/ ٢٣].

الرابعة: سبب سؤالهم عن ذلك.

الخامسة: أن جبريل يجيبهم بعد ذلك بقوله ـ قال كذا وكذا.

السادسة: ذكر أن أول من يرفع رأسه جبريل.

السابعة: أنه يقول لأهل السَّموات كلهم لأنهم يسألونه.

الثامنة: أن الغشى يعم أهل السمواتِ كلَّهم.

التاسعة: ارتجاف السموات لكلام الله.

العاشرة: أن جبريل هو الذي ينتهى بالوحى إلى حيث أمره الله.

الحادية عشرة: ذكر استراق الشياطين.

الثانية عشرة: صفة ركوب بعضهم بعضًا.

الثالثة عشرة: إرسال الشهب.

الرابعة عشرة: أنه تارة يدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وتارة يلقيها فى أذن وليه من الإنس قبل أن يدركه.

الخامسة عشرة: كون الكاهن يَصْدُق بعضَ الأحْيَان.

السادسة عشرة: كونه يكذب معها مائة كذبة.

السابعة عشرة: أنه لم يُصَدَّق كذبُة إلا بتلك الكلمة التى سُمِعَتْ مِنَ السَّماَء.

الثامنة عشرة: قبولُ النُّفوسِ الباطل كيف يتعلقون بواحدة ولا يعتبرون بمائة.

التاسعة عشرة: كونهم يتلقى بعضهم من بعض تلك الكلمة ويحفظونها ويستدلون بها.

العشرون: إثبات الصفات خلافًا للأشعرية المعطلة.

الحادية والعشرون: التصريح بأن تلك الرَّجفة والغشي خوفًا من الله عز وجل.

الثانية والعشرون: أنهم يخرون لله سجدًا.

باب الشفاعة

وقول الله عز وجل: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ [الأنعام/ ٥١].

وقوله ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[الزمر/ ٤٤].

وقوله ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

وقوله ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم/ ٢٦].

وقوله ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الآيتين [سبأ/ ٢٢].

قال أبو العباس: نفَى الله عمَّا سِوَاه كُلَّ ما يَتَعَلق به المشركُون فنفى أن يكون لغيره مُلْك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله، ولم يبق إلا الشفاعة:

فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربُّ كما قال: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [الأنبياء/ ٢٨١].

فهذه الشفاعة التى يظنها المشركون هي منتفية يَوْمَ القيامة كمَا نفاها القرآن، وأخبر النبيُّ ﷺ: "أَنَّهُ يأتِي فَيَسْجُدُ لربه ويحمده ـ لا يبدأ بالشفاعة أولًا ـ ثم يُقَالُ له: ارفعْ رَأسَكَ، وقل يُسْمعُ، وسلْ تُعْط، واشفع تُشفَّعْ".

وقال أبو هريرة له ﷺ "مَنْ أَسْعدُ الناسِ بشفاعَتِكَ؟ قال: مَنْ قال، لا إله إلا الله خالصًا من قلبه" فتلك الشفاعة لأهل الإخْلاصِ بإذن الله، ولا تكون لِمَنْ أشْرَكَ بالله.

وحقيقته أن الله سُبْحَانه هُوَ الذي يتفضَّلُ عَلَى أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دُعَاءِ مَنْ أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود.

فالشفاعةَ التى نفاها القرآن، ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه فى مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. أ هـ كلامه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى، وهى المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ وأنه لا يَبْدأ بالشفاعة، بل يسجد فإذا أُذِنَ له شفع.

السادسة: من أسعد الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾

وفي الصَّحيح عن ابن المسيب عن أبيه قال: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طالبٍ الوفاةُ جاءَهُ رسولُ الله ﷺ وعنده عبدُ الله بنُ أبي أمية وأبو جهل. فقال له: يا عمِّ قُلْ لا إله إِلَّا الله كلمة أُحاجُّ لك بها عند الله فقالا له: أترْغبُ عن مِلَّةِ عبْدِ المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ فأعَادا. فكانَ آخِرَ ما قال: هُو على مِلَّةِ عَبْدِ المطلب وأبى أن يقول: لا إله إِلَّا الله فقال النبي ﷺ: لأَسْتغْفِرَنَّ لك ما لم أُنْهَ عَنْك، فأنزل الله عز وجل ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ [التوبة/ ١١٣] وأنزل في أبي طالب: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص/ ٥٦].

فيه مسائل

الأولى: تفسير ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية.

الثانية: تفسير قوله ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ﴾ الآية.

الثالثة: وهي المسألة الكبيرة تفسير قوله (قُلْ لَا إِله إِلَّا الله) بخلاف ما عليه من يدَّعي العلم.

الرابعة: أن أبَا جهل ومن معه يَعْرِفُون مُرَادَ النبي ﷺ إذا دَخَلَ قال للرجل (قل لا إله إلا الله) فقبَّح الله مَنْ أَبُو جَهْلٍ أعْلَم منه بأصْل الإسْلام.

الخامسة: جِدُّهُ ﷺ ومبالغته فى إسلام عمه.

السادسة: الرد على مَنْ زَعَمَ إسلامَ عبدِ المطلب وأسلافه.

السابعة: كونه ﷺ استغفر له فلم يغفر له، بل نهي عن ذلك.

الثامنة: مضرةُ أصْحَاب السوء على الإنسان.

التاسعة: مضرةُ تعظيم الأسلاف والأكابر.

العاشرة: الشبهة للمبطلين فى ذلك لاستدلال أبى جهل بذلك.

الحادية عشرة: الشاهِدُ لكَوْنِ الأعمالِ بالخواتيم لأنه لو قالها لنفعته.

الثانية عشرة: التأمل فى كِبَرِ هذه الشبهة فى قُلُوب الضَّالِّين لأن فى القصة أنهم لم يجادلوه إلا بها مع مبالغته ﷺ وتكريره، فلأجل عظمتها ووضوحها عندهم اقتصروا عليها.

باب ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم هو الغُلُوُّ فى الصالحين

وقول الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ ﴾ [النساء/ ١٧١].

وفى الصَّحيح عن ابن عبَّاس رضىَ الله عنهما فى قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح/ ٢٣] قال: "هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ صَالِحِينَ مِنْ قوم نوح فَلَمَّا هَلَكُوا أَوحىَ الشيطانُ إلى قومهم أن انصبُوُا إلى مجالسهم التي كانوا يَجْلِسُون فيها أنصابًا وسَمُّوهَا بأَسْمَائهم فَفَعَلُوا ولم تُعْبد حَتىّ إذَا هَلَكَ أُولَئكَ ونُسِيِ العِلْمُ عُبِدَتْ".

وقال ابنُ القيِّم ـ قال غيرُ واحدٍ من السَّلف لمَّا مَاتوا عَكَفُوا على قُبُورهم ثم صَوَّرُوا تماثيلَهُم ثم طَالَ عليهم الأمدُ فَعَبَدُوهُمْ.

وعن عمر ـ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ ـ "لا تُطْروني كَمَا أَطْرَتْ النصارى ابنَ مَرْيَم إنَّما أنا عَبْد ـ فقولُوا عَبْد الله ورَسُوله" أخرجاه.

وقال ـ قال رسول الله ﷺ: "إيَّاكم والغُلُوَّ فإنَّما أهلك من كان قَبْلَكُم الغُلُوُّ".

ولمسلم عن مسعود ـ أن رسول الله ﷺ قال ـ "هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ" قالها ثلاثًا.

فيه مسائل

الأولى: أن مَنْ فَهِمَ هذا الباب وبابين بَعْده تبيَّن له غُربة الإسلام ورأى من قُدْرَةِ الله وتقليبِهِ لِلقلُوب العَجَبَ.

الثانية: معرفةُ أن أوَل شركٍ حَدَثَ عَلى وَجْهِ الأرضِ كَان بشُبْهَةِ الصَّالحين.

الثالثة: مَعْرفةُ أوَّلِ شَيءٍ غُيِّرَ به دينُ الأنبياء، وسَبَبُ ذلك مع معْرفة أنَّ اللهَ أرسَلَهُم.

الرابعة: مَعْرفةُ سببِ قَبُولِ البِدَع مع كَوْنِ الشَرَائِع والفِطَرِ تردها.

الخامسة: أن سَبَبَ ذلك كله مَزْجُ الحق بالباطل.

فالأول: محبة الصالحين.

والثاني: فِعْل أناسٍ مِنْ أهْل العِلْم والدِّين شَيْئًا أرادُوا بِه خَيْرًا فَظَنَّ مَنْ بَعْدَهُم أنهُم أرَادُوا به غيرَه.

السادسة: تفسيرُ الآية التى فى سُورة نوح.

السابعة: مَعْرفةُ جِبِلَّةِ الآدَمِى فى كَوْنِ الحق يَنْقُصُ فى قَلْبِه والباطل يزيد.

الثامنة: إن فيها شاهدًا لما نُقِلَ عَن بَعْضِ السَّلَف أنَّ البِدعْةَ سَبَبَ للكفر، "وأنها أحبُّ إلى إبليسَ مِنَ المعْصِيَة، لِأن المعصَية يُتابُ منها، والبِدْعَةُ لا يُتابُ منها".

التاسعة: معرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حَسُنَ قصد الفاعل.

العاشرة: معرفة القاعدة الكُلِية وهى النهى عن الغُلُوِّ، ومعرفة ما يؤول إليه.

الحادية عشرة: مَضَرَّةُ العُكُوف عَلَى القبر لأَجْلِ عَمَلٍ صالح.

الثانية عشرة: معرفة النهى عن التماثيل والحكمة فى إزالتها.

الثالثة عشرة: مَعْرِفَةُ عِظَمِ شَأنِ هذه القصَّة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها.

الرابعة عشرة: وهى - أعجب العجب - قراءتُهمْ [أى أهل البدع] إيَّاها فى كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام، وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح هو أفضل العبادات، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال.

الخامسة عشرة: التصريحُ بأنهُمْ لم يُرِيدُوا إلا الشفاعة.

السادسة عشرة: ظنهم أن العلماء الذينَ صَوَّرُوا الصُّوَرَ أرادوا ذلك.

السابعة عشرة: البَيَان العظيمُ فى قوله: "لا تُطْرُوني كما أطْرَت النصارى ابنَ مَرْيَمَ" فصلوات الله وسلامه عليه بلَّغ البلاغ المبين.

الثامنة عشرة : نصيحتُه إيّانا بهلاك المتنطعين.

التاسعة عشرة: التصريح بأنها لم تُعْبَد حتى نُسِيَ العِلْم، ففيها بيان معرفة قدر وجودة ومضرة فقده.

العشرون: أن سبب فقد العلم موت العلماء.

باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده!!

فى الصحيح عن عائشة "أن أم سلمة ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرضِ الحبشة وَمَا فيها مِنَ الصور فقال: أُولَئكَ إِذاَ مَاتَ فيهم الرجلُ الصَّالحُ أو العَبْدُ الصَّالحُ بَنَوْا عَلى قَبره مَسجِدا وصَوَّرُا فيه تِلْكَ الصُّور. أولئك شِرارُ الخَلْق عِنْد الله" فهؤلاء جَمَعُوا بين الفِتْنتَيَنِ، فِتنةُ القبور، وفتنةُ التماثيل.

ولهما عنها قالت "لمّا نُزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يطرح خميصةً له عَلى وجههِ فإذا اغتَنَمَّ بها كشفَهَا فقالَ وهو كذلك: لَعْنَةُ الله عَلى اليهودِ والنَّصَارى، اتخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ. يُحذِّرُ ما صَنعُوا، وَلَولا ذلك أبرز قَبْره غير أنه خشى أن يُتَّخَذَ مَسْجِدًا". أخرجاه.

ولمسلم عن جندبِ بن عبد الله قال سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يَمُوتَ بخمسٍ وهو يقول (إِنِّي أَبرأ إِلَى الله أَنْ يَكُونَ لِي منكم خليلٌ فَإِنَ الله قد اتَخَذِني خَليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خَلِيلَا ولوْ كنتُ مُتَّخِذًا من أمتي خَليلَا لأتخذت أبَا بَكْرٍ خَليلًا، ألا وإنَّ منْ كان قبلكم كانوا يتَّخِذُون قبورَ أنبيِائهم مَسَاجد، ألا فلا تتخذُوا القبورَ مَساجِدَ فَإِني أنهَاكُمْ عَن ذَلِكَ).

فقد نهى عنه آخر حياته، ثم أنه لَعَنَ ـ وهو فى السياق ـ من فعله، والصَّلاة عِندَها مِن ذلك وإن لم يبن مسجد وهو معنى قوله "خَشِيَ أن يتخذ مَسْجِدًا" فإن الصَّحَابة لم يكونُوا لِيبْنُوا حَوْلَ قَبرهِ مَسْجِدًا، وكل موضع قُصِدتِ الصلاة فيه فقد اتُّخِذ مِسْجِدًا، بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجدًا، كما قال ﷺ "جُعلت لِيَ الأرض مَسجدًا وطَهورًا".

ولأحمدَ بسَنَدٍ جَيِّد عن ابن مسعود رضي اللهُ عنهُ مرفوعًا: إنْ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ منْ تُدْرِكُهمُ السَّاعةُ وَهُمْ أحْيَاء، والذِّينَ يَتَّخِذُونَ القبُورَ مَسَاجِد" رواه أبو حاتم فى صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: ما ذكر الرسولُ فيمن بنى مسجدًا يُعبدُ الله فيه عند قبر رجل صالح ولو صحت نية الفاعل.

الثانية: النهى عن التماثيل وغلظ الأمر فى ذلك.

الثالثة: العبرة فى مبالغته ﷺ فى ذلك وكيف بَيَّنَ لهم هذا أولًا، ثم قبل موته بخمس قال ما قال، ثم لما كان فى السِّيَاق لم يكتف بما تقدم.

الرابعة: نهيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر.

الخامسة: أنه من سنن اليهود والنصارى فى قبور أنبيائهم.

السادسة: لعنه إياهم على ذلك.

السابعة: أن مراده تحذيره إيانا عن قبره.

الثامنة: العِلَّة فى عدم إبراز قبره.

التاسعة: فى معنى اتخاذها مَسْجِدًا.

العاشرة: أنه قرن بين من اتخذها مسجدًا وبين من تقوم عليهم الساعة، فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته.

الحادية عشرة: ذكره فى خطبته قبل موته بخمس الرد على الطائفتين اللتين هما أشر أهل البدع، بل أخرجهم بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة وهم الرافضة والجهمية، وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبَادة القبور وهم أول من بنى عليها المساجد.

الثانية عشرة: ما بُلِيَ به رَسُولُ الله ﷺ من شدة النزع.

الثالثة عشرة: ما أُكْرِمَ به من الخلة.

الرابعة عشرة: التصريح بأنها أعلى من المحبة.

الخامسة عشرة: التصريح بأن الصِّدِّيق أفضل الصحابة.

السادسة عشرة: الإشارة إلى خلافته.

باب ما جاء أن الغُلُوَّ فى قبور الصَّالحين يصيرها أوثانًا تُعْبَدُ من دون الله

وروى مالكٌ فى المُوَطأ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: (اللَّهُم لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبدُ. اشتدَّ غَضَبُ الله على قَومٍ اتَّخَذُوا قُبورَ أنبيَائهم مَسَاجد) ولابن جرير بسنده عن سفيان عَن منصور عن مجاهد ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ [النجم/ ١٩] قال: كان يلت لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره.

وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كانَ يَلتُّ السَّويقَ لِلْحَاجِ. وعن ابن عبَّاس رَضِيَ الله عنهما قال: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زائراتِ القُبُور والمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا المَسَاجِدَ والسُّرُجَ. رواه أهل السنن.

(فيه مسائل)

الأولى: تفسير الأوثان.

الثانية: تفسير العبادة.

الثالثة: أنه ﷺ لم يستعذ إلا مما يخاف وقوعه.

الرابعة: قَرْنُهُ بهذا اتخاذَ قبورِ الأنبياءِ مَسَاجِدَ.

الخامسة: ذِكر شدَّةِ الغضب من الله.

السادسة: وهي من أهمها معرفة صفة عبادة اللّات التي هي من أكبر الأوثان.

السابعة: معرفة أنهُّ قبرُ رَجُل صالح.

الثامنة: انه اسم صاحب القبر، وذكر معنى التسمية.

التاسعة: لعنة زوَّاراتِ القبور.

العاشرة: لعنة مَنْ أسْرَجها.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك

وقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة/ ١٢٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تجْعَلُوا بيوتكم قبورًا ولا تجْعَلوُا قَبْرِي عِيدًا وصَلُّوا عَلَيَّ فإنَّ صَلَاتكُم تَبْلُغني حيثُ كُنتمُ" رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه (أنهُ رأى رَجُلًا يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ؟ فيدْخل فيها فيدعو، فنهاه.

وقال: ألا أحدثكم حديثًا سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: "لا تتخذوا قبري عيدًا، ولا بيوتكم قبورًا، وصلوا علي فإن تسليمكم يبلغني حيث كنتم" رواه في المختار.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية براءة.

الثانية: إبعاده أمته عن هذا الحمى غاية البعد.

الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته.

الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص، مع أن زيارته من أفضل الأعمال.

الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة.

السادسة: حثه على النافلة في البيت.

السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يصلى في المقبرة.

الثامنة: تعليل ذلك بأن صلاة الرجال وسلامه عليه يبلغه وإن بعُد فلا حاجة إلى ما يتوهمه مَنْ أَرَادَ القُرْبَ.

التاسعة: كونه ﷺ في البَرْزَخ تُعرض أعمالُ أمته في الصلاة والسلام عليه.

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان

وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء/ ٥١].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [المائدة/ ٦٠].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف/ ٢١].

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "لتتبعُنَّ سُنَنَ منْ كان قبلَكُم، حَذْوَ القذَّة حَتىَّ لو دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخلْتُموه. قالُوا يا رسُولَ الله، اليهودَ والنصارَى؟ قال: فَمَنْ؟" أخرجاه.

ولُمسلم عن ثوبان رضي الله عنه أن رَسُول الله ﷺ قال: "إن الله زَوَي لِي الأرضَ، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا ما زُوى لي منها، وأُعطيتُ الكنزيْن الأحمرَ والأبيضَ، وإني سألتُ رَبيِّ لأمتي أن لا يُهْلكها بسُنَّةٍ بعَامَّة، وأن لا يُسَلِط عليهم عَدُوًّا مِن سِوَى أنفسهم فيستبيح بيضَتهم، وإنَّ رَبِّي قال يا محمدُ إني إذا قضيْتُ قضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ، وإني أعْطيتُك لأمتك أن لا أُهْلِكَهُم بسنة بعامة وأن لا أسَلِطَ عَلَيهم عَدُوًا مِنْ سِوَى أنفسهم فيستبيحَ بيضَتَهم، ولو اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بأقطارِها، حتَّى يَكون بعضُهم يُهْلِكُ بعضًا ويَسْبي بعضُهم بعضًا".

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد "وإنَّما أخاف عَلَى أمتي الأئمَّة المُضِلّيَن، وإذا وقع عَلَيْهُم النسيفُ لم يُرْفَع إلى يوم القيامة، ولا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يلحق حَيّ مِنْ أمتي بالمشركين، وحَتَّى تَعْبُد فِئَام مِنْ أُمَّتِي الأوثَان، وأنه سيكون في أمتي كَذَّابُون كلامًا كلهم يَزْعُم أنَّه نبِي وأنا خاتم النبين، لا نَبِيَّ بَعْدِي، ولا تَزالُ طائفَة من أمتي عَلَى الحَق مَنْصُورَة لا يضرُّهُم مَنْ خَذَلَهُمْ ولا مَنْ خالفَهُم حَتَّى يَأتي أمْرُ الله تبارك وتعالى".

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النساء.

الثانية: تفسير آية المائدة.

الثالثة: تفسير آية الكهف.

الرابعة: وهي أهمها، ما معنى الإيمان بالجبت والطاغوت في هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بعضها ومعرفة بطلانها.

الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرَهُمْ أهدى سبيلًا من المؤمنين.

السادسة: وهي المقصود بالترجمة أنَّ هذا لابد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبي سعيد في جموع كثيرة.

السابعة: تصريحه بوقوعها أعني عبادة الأوثان في هذه الأمة.

الثامنة: العجب العجاب خروجُ من يدعي النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهَادتين وتصريحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسول حق، وإن القرآن حق. وفيه أن محمدًا خاتم النبيين، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التَّضاد الواضح، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فئام كثيرة.

التاسعة: البشارة بأن الحقَّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة. الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يَضُرُّهُم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة، منها إخباره بأن الله زوى له المشارقَ والمغاربَ وأخبرَ بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطىَ الكنزين، وإخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيف، وأنه لا يُرفع إذا وقع، وإخباره بإهلاك بعضهم بعضا وسبي بعضهم بعضا وخوفه علىَ أمته من الأئمة المضلّين وإخباره بظهور المتنبئين في هذه الأمة، وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة. وكل هذا وقع، كما أخبر، مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون في العقول.

الثالثة عشرة: حصْرُ الخوف على أمته من الأئمة المضلين.

الرابعة عشرة: التنبيه على معنى عبادة الأوثان.

باب ما جاء في السحر

وقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة/ ١٠٢].

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء/ ٥١].

قال عمر: "الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان".

وقال جابر: "الطواغيت: كهان، كان ينزل عليهم الشيطان، في كل حي واحد".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الموبقات. قالوا: يا رسولَ الله وما هُنَّ؟ قال: الشِرْك بالله، والسِّحر، وقتل

النفس التي حرَّم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتَّوَلّي يَوْمَ الزَّحْف، وقذف المُحْصنات الغافلات المؤمنات".

وعن جندب مرفوعًا: "حدُّ السَّاحر ضرْبُه بالسَّيْفِ" رواه الترمذي وقال الصحيح انه موقوف.

وفى صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة قال كتب عُمَرُ بن الخطاب رَضِيَ الله عنه: أن اقْتُلُوا كُلَّ سَاحرٍ وسَاحِرَة، قال: فقلنا ثلاثَ سَوَاحِرٍ".

وصح عن حفصة رضى الله عنها "انها أَمَرَتْ بقَتْل جَارِيةٍ لَهَا سَحَرَتْهَا فَقُتِلَتْ". وكذلك صح عن جندب.

قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية النساء.

الثالثة: تفسير الجبْت والطاغوت والفرق بينهما.

الرابعة: ان الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من الإنس.

الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى.

السادسة: أن السّاحر يكفر.

السابعة: أنه يُقْتَل ولا يُسْتتاب.

الثامنة: وجود هذا فى المسلمين على عهد عمر. فكيف بعده؟

باب بيان شيء من أنواع السحر

قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف عن حيان ابن العلا، حدثنا قطن بن قبيصة عن أبيه أنه سمع النبيَّ ﷺ قال: "إن العِيَافةَ وَالطَّرْق والِطّيرة مِنْ الجبْت".

قال عوف: العيافة زَجْرُ الطير، والطَّرْق الخط يُخَط بالأرض، والجبت قال الحسن: رنة الشيطان. إسناده جيد.

ولأبي داود والنسائي وابن حبان فى صحيحه المسند منه.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنِ اقتبس شُعْبةً من النجُوم فَقَدْ اقتبسَ شُعْبةً مِنْ السِّحْر، زَادَ مَا زَادَ" رواه داود، وإسناده صحيح.

وللنسائى من حديث أبي هريرة "مَنْ عَقَدَ عُقدَةً ثم نَفَثَ فيها فقد سَحَرَ، ومن سحر فقد أشْرَكَ، ومن تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إِلَيْهِ".

وعن ابن مسعود أن رَسُولَ الله ﷺ قال: "ألَا هَل أُنَبِئكُم مَا الْعَضْة؟ هِيَ النَّمِيمَة القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ" رواه مسلم.

ولهما عن ابن عمر رضى الله عنهما أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: "إنَّ مِنْ البَيَانِ لسِحْرًا".

فيه مسائل

الأولى: أن العيافة والطرْق والطيرة من الجبت.

الثانية: تفسير العيافة والطرق والطيرة.

الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.

الرابعة: أن العقد مع النفث من ذلك.

الخامسة: أن التميمة من ذلك.

السادسة: أن مِنْ ذلك بعض الفصاحة.

باب ما جاء فى الكُهَّان ونحوهم

روى مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ قال: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقه لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاة أَرْبَعِينَ يَوْمًا".

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "مَن أَتَى كَاهِنا فَصَدَّقَهُ بما يقول فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ على مُحَمَّدٍ ﷺ" رواه أبو داود.

وللأربعة والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، عن "أبي هريرة: "مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أنزل على محمد ﷺ" ولأبى يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفا.

وعن عمران بن حصين مرفوعا "ليس منا مَنْ تَطَيَّر أو تُطُيِّر لهُ أو تكهَّن أو تُكهن له أو سَحَرَ أو سُحِرَ لَهُ، ومنْ أتى كاهنًا فصدَّقه بما يقول فقد كفرَ بِمَا أُنزِلَ على محمد ﷺ" رواه البزار بإسناد جيد.

ورواه الطبراني فى الأوساط بإسناد حسن من حديث ابن عباس دون قوله "ومن أتى" إلى آخره.

قال البغوي: العرَّاف الذى يَدَّعِى معرفَة الأمور بمُقَدِّمَاتٍ يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.

وقيل: هو الكاهن، والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل.

وقيل: الذى يُخْبِرُ عمَّا فى الضمير.

وقال أبو العباس بن تيمية: العَرَّاف اسم الكاهن، والمنجم، والرمال ونحوهم، ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق.

وقال ابن عباس فى قوم يكتبون آبا جاد، وينظرون فى النجوم ما أَرَىَ مَنْ فَعَلَ ذلك له عند الله مِنْ خَلَاقٍ.

فيه مسائل

الأولى: انه لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

الثانية: التصريح بأنه كفر.

الثالثة: ذكر من تُكهن له.

الرابعة: ذكر من تطير له.

الخامسة: ذكر من سُحر له.

السادسة: ذكر من تعلم أبا جاد.

السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعَرَّاف.

باب ما جاء فى النشرة

عن جابر (أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن النُّشْرة؟ فقال: هى مَنْ عَمَل الشيْطَان). رواه أحمد بسند جيد وأبو داود. وقال: سُئِلَ أحمد عنها؟ فقال ابن مسعود - بكره هذا كله.

وفى البخارى عن قتادة - قلت لابن المسيب رجل به طِبٌّ أو يُؤْخَذُ عَن امْرأتِهِ أيُحَلُّ عَنْه أو يُنَشَر؟ قال لا بأس به؟ إنما يريدون به الإصلاح فأما ما يَنْفَع فلم يُنْهَ عَنْهُ، انتهى.

وروى عن الحسن أنه قال: لا يَحُلُّ السِّحْرَ إلا سَاحِر.

قال ابن القيم: النَّشْرةُ حلُّ السِّحر عن المسْحُور، وهى نوعان:

حل بسحر مثله وهو الذى مِنْ عَمَل الشيطان. وعليه يُحْمَلُ قَوْلُ الحسن فَيَقَرَّب الناشرُ والمنتشرُ إلى الشيطان بما يحب فيبْطل عملُه عن المسْحُور.

والثانى: النشرَة بالرقْيَة والتعوّذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن النشرة.

الثانية: الفرق بين المنهى عنه والمُرَخَّص فيه مما يزيل الإشكال.

باب ما جاء فى التطير

وقول الله تعالى ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٣١].

وقوله ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ [يس/ ١٩].

عَنْ أبِي هُرَيْرَة رضِيَ الله عَنْه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: "لاَ عَدْوَى وَلَا طَيَرة ولا هَامَّةَ وَلَاَ صَفرَ" أخرجاه.

زاد مسلم ـ (ولا نَوْءَ ولَاَ غَوْلَ).

ولهما عن أنس قال: قال رَسُول الله ﷺ "لَا عَدْوىَ وَلاَ طِيَرَة ويُعْجبُني الفَألُ. قالوا: وما الفألُ؟ قال: الكلمةُ الطَّيِّبَة".

ولأبي داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر قال: (ذُكِرَت الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فقال: أَحْسَنُهَا الفألُ ولا ترد مُسْلمًا فإذا رأى أحدُكم ما يكْرَه

فَليقُل: اللَّهُمَّ لا يأتي بالحَسَنات إلا أنت ولا يَدْفَعُ السَّيئات إلا أنت، ولا حَولَ وَلَا قوة إلا بك).

وله من حديث ابن مسعود مرفوعًا "الطيرة شرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنا إِلَّا... وَلَكِنَّ الله يُذهِبُه بالتَّوكُّل" رواه أبو داود والترمذي وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود.

ولأحمد من حديث ابن عمر - "مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ عن حاجته فَقَدْ أشرَكَ. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن يَقُولَ اللهُمَّ لا خيْرَ إِلَّا خَيرُكَ، ولا طَيرَ إِلَّا طَيْرُك ولَا إِلَه غَيرُكَ".

وله من حديث الفضل بن العباس "إنما الطِيَرَةُ ما أَمَضَاكَ أو رَدَّكَ".

فيه مسائل

الأولى: التنبيه على قوله (أَلا إِنَّما طَائِرُهُم عِندَ الله) مع قوله (طَائِركُم مَّعَكُمْ).

الثانية: نفى العدوى.

الثالثة: نفى الطِّيَرَة.

الرابعة: نفى الهامة.

الخامسة: نفى الصفر.

السادسة: أن الفأل ليس من ذلك، بل مستحب.

السابعة: تفسير الفأل.

الثامنة: أن الواقع فى القلوب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهبه الله بالتوكل.

التاسعة: ذكر ما يقوُل من وجده.

العاشرة: التصريح بأن الطِّيَرة شركٌ.

الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة.

باب ما جاء فى التنجيم

قال البخارى فى صحيحه: قال قتادة "خَلَقَ الله هذه النجوم لثلاثٍ: زينة للسماء ورُجُوما للشياطين وعلامات يُهْتدى بها، فمن تأَوَّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبَه، وتكلَّف ما لا عِلْمَ لَهُ بِهِ" انتهى.

وكره قتادة تَعَلُّمَ منازلَ القمرِ، ولم يُرَخِّص ابن عيينة فيه، ذكره حَرْبٌ عنهما.

وَرَخَّصَ فى تَعَلُّم المنازل أحمد واسحاق.

وعن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "ثَلَاثَة لا يَدْخُلونَ الجَنة مُدْمنُ الخمر، وقَاطِعُ الرَّحِم، ومُصَدِّقٌ بالسِّحر".

رواه أحمد وابن حبان فى صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: الحكمة فى خَلق النُّجُوم.

الثانية: الرد على مَنْ زَعَمَ غير ذلك.

الثالثة: ذكر الخلاف فى تعلم المنازل.

الرابعة: الوعيد فيمَن صَدَّق بشيءٍ من السِّحر، ولو عَرَفَ أنه باطل.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة/ ٨٢].

وعن أبي مالك الأشعري رضيَ الله عنه ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: (أربعٌ في أمتي مَنْ أمر الجاهلية ـ الفَخْرُ بالأحسَاب والطعنُ فى الأنسَابِ والاستِسقاءُ بالنجوم، وقال: النَّائِحَةُ إذا لم تُتبْ قبلَ موتها تُقَام يوم القيامةِ وعليها سِرْبالٌ من قطران، ودِرْعٌ من جَرَبٍ) رواه مسلم.

ولهما عن زيد بن خالد رضى الله عنه قال: "صلىَّ لنا رسولُ الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سمَاء كانت من الليل فَلمَا انصرف أقبل على الناس، فقال: هَل تَدرُونَ مَاذَا قَاَلَ رَبُكُمْ؟ قَالُوا: الله ورَسُولُه أَعْلَمُ، قال: قال أصبَحَ مِن عِبَادي مُؤمِنٌ بي وكافر، فَأمَّا مَنْ قال: مُطرنا بفَضل الله وَرَحمَتِهِ، فذلك مؤمن بي كَافِرٌ بالكوكب".

ولهما من حديث ابن عباس معناه وفيه ـ قال بعضهم:

(لقد مُطِرنَا بنوء كذا وكذا. فأنزل الله هذه الآية).

(فَلَا أُقسم بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ) إِلَى قَوْلِهِ: (تكذبون).

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الواقعة.

الثانية: ذكر الأربع التى مِنْ أَمْرِ الجاهلية.

الثالثة: ذكر الكفر فى بعضها.

الرابعة: أن من الكفر ما لا يخرج عن الملة.

الخامسة: قوله "أَصبَحَ مِنْ عِبَادي مؤمنٌ بي وَكَافِر" بسبب نزول النعمة.

السادسة: التفطن للإيمان في هذا الموضع.

السابعة: التفطن للكفر في هذا الموضع.

الثامنة: التفطن لقوله "لقد صَدق نَوءُ كذا وكذا".

التاسعة: إخراج العالم للمتعلم المسألة بالاستفهام عنها لقوله أتدرون ماذا قال ربكم؟

العاشرة: وعيد النائحة.

باب قول الله تعالى

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥].

وقوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ - إلى قوله - أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [التوبة/ ٢٤].

عن أنس: أن رَسُولَ الله ﷺ قال: (لَا يُؤْمِن أَحَدُكُم حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِه والنَّاسَ أَجْمَعِين) أخرجاه؟

وَلَهُمَا عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَة الإِيمَان، أنَ يَكونَ اللهُ ورسوله أَحَبَّ إليه مما سِوَاهُمَا وأن يُحِبَّ المَرْء لا يُحِبُّه إِلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقْذفَ في النار).

وفي رواية "لا يجدُ أحدٌ حلاوَة الإيمانِ حَتىَّ" إلى آخره.

وعن ابن عباس قال "مَنْ أحبَّ في الله، وأبغَضَ في الله، وَوَالَى في الله، وعادى في الله، فإنَّمَا تَنَاوَل ولايةَ الله بذلك، ولن يجدَ عبد طعم الإيمان - وإنَ

كثرت صلاته وصومه حتى يكونَ كذلك، وقد صَارت عامَّة مؤاخاة الناس عَلَىَ أمر الدُّنْيَا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا" رواه ابن جرير.

وقال ابن عباس فى قوله (وَتَقَطَّعت بِهِمُ الْأَسْبَابُ) قال: المودة.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية البقرة.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: وجوب محبته ﷺ على النفس والأهل والمال.

الرابعة: أن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام.

الخامسة: أن لِلإيمان حلاوة قد يجدُها الإنسان وقد لا يجدها.

السادسة: أعمال القلب الأربع التى لا تنال ولاية الله وإلا بها، ولا يجد أحدٌ طعْمَ الإيمان إلا بها.

السابعة: فَهْمُ الصَّحَابى للواقع ـ أن عَامَّة المؤاخاة على أمر الدنيا.

الثامنة: تفسير (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ).

التاسعة: أن من الشركين من يُحِبُّ اللهَ حُبًا شدِيدًا.

العاشرة: الوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه.

الحادية عشرة: أن من اتخذ نِدًّا تُسَاوِى محبتُه محبَّةَ الله فهو الشرك الأكبر.

باب قول الله تعالى

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران/ ١٧٥].

وقوله: الآية ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾[التوبة/ ١٨].

وقولة: الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾[العنكبوت/ ١٠].

وعن أبي سعيد رضيَ الله عنه مرفوعًا "إنْ مِنْ ضَعْفِ اليَقينِ أن تُرضِيَ النَّاسَ بِسخط الله، وأن نحْمَدَهُم على رِزْقِ الله، وأن تذُمَّهُمْ عَلىَ مَالَمْ يُؤتِكَ الله، إنَّ رِزْقَ الله لا يَجُرُّهُ حرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّه كراهيةُ كَارِه".

وعن عائشة رضى الله عنها: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: "مَنْ التَمَس رضى الله بسخط الناس رَضيَ الله عَنهُ وأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، ومن التَمَسَ رضا النَّاسِ بسخط الله سَخِطَ اللهُ عليه وأسْخَطَ عَلَيْهِ الناسَ" رواه ابن حبان فى صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: تفسير آية العنكبوت.

الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.

الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك: هذه الثلاث.

السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.

السابعة: ذكر ثواب من فعله.

الثامنة: ذكر عقاب من تركه.

باب قوله الله تعالى

﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة/ ١١].

وقوله: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال/ ٢].

وقوله: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[الطلاق/ ٣].

وعن ابن عباس قال: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ) قالها إبراهيم عليه السلام حينَ أُلقِيَ فى النَّار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا له: ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [آل عمران/ ١٧٣] رواه البخارى والنسائى.

فيه مسائل

الأولى: أن التوكل من الفرائض.

الثانية: أنه من شروط الإيمان.

الثالثة: آية الأنفال.

الرابعة: تفسير الآية فى آخرها.

الخامسة: تفسير آية الطلاق.

السادسة: عِظَمُ شأن هذه الكلمة، وأنها قولُ إبراهيم عليه السلام ومحمدٌ ﷺ فى الشدائد.

باب قول الله تعالى

﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف/ ٩٩].

وقوله: ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر/ ٥٦].

وعن ابن عباس: "أن رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عن الكبَائِرِ فقال: "الشرْكُ بالله، واليأسُ من رَوْحِ الله، والأمْنُ مِنْ مَكْرِ الله".

وعن ابن مَسْعُود قال: أكبر الكَبَائر: الإشرَاكُ بالله والأمنْ من مَكْرِ الله والقنُوطُ من رحْمَةِ الله واليأسُ من روْح الله" رواه عبد الرزاق.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الأعراف.

الثانية: تفسير آية الحجر.

الثالثة: شدة الوعيد فيمن أمِنَ مكر الله.

الرابعة: شدة الوعيد فى القنوط.

باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله

وقول الله تعالى ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن/ ١١].

قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيَعْلم أنها مِنْ عِند الله فيرضى ويسلم.

وفى صحيح مسلم. عن أبي هريرة: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: "اثنتان فى الناس هُما بهم كُفْر: الطعْنُ في النَّسب والنِّياحة على الميت".

ولهما عن ابن مسعود مرفوعًا: "ليسَ منَّا منْ ضَرَبَ الخُدُودَ وَشَقَّ الجُيُوبَ، ودَعَا بدَعْوَى الجَاهِلِيَّة".

وعن أنس أن رسولَ الله ﷺ قال: "إذَا أرادَ اللهُ بَعْبِده الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ بالعُقوبَةِ في الدُّنيا، وإذَا أرَادَ بَعبده الشَّر أمْسَكَ عنه بذنبه حتَّى يُوافِيَ به يوْمَ القيامة".

وقال النبي ﷺ: "إِنَّ عِظَمَ الجَزَاء مَعَ عِظَمِ البَلَاَء، وإِنَّ الله تعالى إِذَا أحبَّ قومًا ابتلاهم فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، ومَنْ سَخِطَ فلهُ السخْط" حسنه الترمذي.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية التغابن.

الثانية: أن هذا من الإيمان بالله.

الثالثة: الطعن في النسب.

الرابعة: شدة الوعيد فيمن ضرَبَ الخدودَ وشَقَّ الجيوب ودَعَا بدعوى الجاهلية.

الخامسة: علامة إرادة الله بعبده الخير.

السادسة: علامة إرادة الله بعبده الشر.

السابعة: علامة حب الله للعبد.

الثامنة" تحريم السخط.

التاسعة: ثواب الرضا بالبلاء.

باب ما جاء في الربا

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ الآية [الكهف/ ١١٠].

وعن أبِي هريرة مرفوعًا: قال الله تعالى: أَنَا أغْنَى الشُّرَكاءِ عَنِ الشِّرْك، منْ عَمِلَ عَمَلًا أشْرَكَ معي فيه غَيْرِي تركْتُهُ وشرْكه. رواه مسلم.

وعن أبي سعيد مرفوعًا: (ألا أخبركم بمَا هُو أخوفُ عليكُم عندي من المسيح الدَّجَّال؟ قالوا: بلى، قال: الشرْك الخفيُّ يقوم الرجلُ فيصلِّي فيزينُ صَلَاتَهُ، لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ). رواه أحمد.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية الكهف.

الثانية: الأمر العظيم في رَدِّ العمل الصَّالح إذا دَخَلَهُ شيء لغَيْرِ الله.

الثالثة: ذكر السبب الموجب لذلك، وهو كمال الغنى.

الرابعة: أن من الأسباب أنه خير الشركاء.

الخامسة: خوف النبي ﷺ على أصحابه من الرياء.

السادسة: أنه فسر ذلك ـ بأن المْرء يُصَلِّيَ لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجلٍ.

باب: من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وقوله الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود/ ١٥].

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: (قال رسولُ الله ﷺ: تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَار، تعس عبْدَ الدِّرهم، تعس عبْدُ الخَمِيصَة، تعس عبْدُ الخَمِيلة إن أُعْطِيَ رَضِيَ وَإن لَمْ يُعْطَ سَخطَ، تعس وانْتكس، وإذاً شِيكَ فلَا انْتَقَش. طُوبَى لعَبْد آخذٍ بعنَانِ فرسه في سَبِيلِ الله، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّة قدماهُ إن كان في الحِراسَة، كان في الحِرَاسَة وإن كان في السَّاقَةَ كَانَ في السَّاقَةَ إِن اسْتأذن لم يُؤْذنْ لهُ. وإن شَفَعَ لم يُشَفَّعْ).

فيه مسائل

الأولى: إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة.

الثانية: تفسير آية هود.

الثالثة: تسمية الإنسانِ المسْلم عبد الدينار والدرهم والخميصة.

الرابعة: تفسير ذلك بأنه إن أُعْطِيَ رَضِيَ، وإن لَمْ يُعْطَ سخط.

الخامسة: (قوله تعس وانتكس).

السادسة: قوله (وإذا شِيكَ فلا انتقش).

السابعة: الثناء على الُمجَاهِدِ الموصوف بتلك الصفات.

باب من أطاع العلماء والأمراء
في تحريم ما أحل الله
أو تحليل ما حرمه فقد أتخذهم أربابا

وقال ابن عباس: يُوشِكَ أن تنزلَ عليكم حجارةٌ من السماء، أقول قال رسولُ الله ﷺ، وتقولون: قال أبُو بكر وعمر؟.

وقال أحمد بن حنبل: عَجِبتُ لِقَوْم عَرَفُوا الإسناد وصحَّته يذْهَبُون إلى رأى سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور/ ٦٣].، أتدرى ما الفتنة، الفتنة الشرك، لعله إذاَ رَدَّ بعض قوله أن يقع فى قلبه شئ من الزيغ فيهلك.

وعن عدى بن حاتم: "أنه سمع النَبيَّ ﷺ يَقرأُ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [براءة/ ٣١].. فقلت له إنا لَسنَا نعْبدُهُمْ. قال: أَليسَ يُحَرِّمُونَ ما أَحَل الله فَتُحَرِّمونهُ، ويُحِلُّونَ ما حَرَّم الله

فتُحلُّونهُ. فقلت: بلى، قال: فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ". رواه أحمد والترمذي وحسنه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النور.

الثانية: تفسير آية براءة.

الثالثة: التنبيه على معنى العِبَادة التي أنكرها عدي.

الرابعة: تمثيلُ ابن عباس بأبي بكر وعمر، وتمثيل أحمد بسفيان.

الخامسة: تغير الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال، وتسمى الولاية، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه، ثم تغيرت الأحوال إلى أن عبد من دون الله من لَيسَ من الصَّالِحِينَ، وعُبِدَ بِالْمعنَى الثاني من هو من الجاهلين.

باب قول الله تعالى

وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء/ ٦٠]..

وقوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ [البقرة/ ١١]..

وقوله: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف/ ٨٥]..

وقوله: الآية ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾ [المائدة/ ٥٠]..

وعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّى يكُونَ هَوَاهُ تبعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ" قال النووى: حديث صحيح رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة، فقال اليهودي: نتحاكمُ إلى محمد، عرف أنه لا يأخذ الرِّشْوَة، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة، فاتفقَا أن يأتيا كاهنا فى جهينة فيتاكما إليه، فنزلت: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾[النساء/ ٦٠]..

وقيل: نزلت فى رَجُلَيْنِ اختصَمَا، فقال أحدُهما: نترافع إلى النبي ﷺ. وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عُمَرَ، فذكر له أحدُهما القصة فقال للذي لم يرْضَ برسولِ الله ﷺ أكذلك؟ قال: نعم، فَضَرَبَهُ بالسيف فقتله".

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾. [البقرة/ ١١]..

الثالثة: تفسير آية الأعراف ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف/ ٨٥]..

الرابعة: تفسير ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ﴾[المائدة/ ٥٠]..

الخامسة: ما قاله الشعبي فى سبب نزول الآية الأولى.

السادسة: تفسير الإيمان الصَّادق والكاذب.

السابعة: قصة عمر مع المنافق.

الثامنة: كون الإيمان لا يحصل لأحد حتى يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ.

(باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات)

وقول الله تعالى: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد/ ٣٠].

وفي صحيح البخاري: قال علي: "حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُرِيدُونَ أن يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ"؟

وروى عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس "أنهُ رَأىَ رجُلًا انتفض لَّما سَمِعَ حَدِيثًا عن النبي ﷺ في الصِّفات استنكارًا لذلك، فقال: ما فَرَّقَ هَؤُلاءِ؟ يجدون رقة عند محكمه ويهلكون عند مُتشابهه"؟ انتهى.

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكرُ الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله فيهم: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾.

فيه مسائل

الأولى: عدم الإيمان بجحد شئ من الأسماء والصفات.

الثانية: تفسير آية الرعد.

الثالثة: ترك التحديث بما لا يَفهَمُ السامع.

الرابعة: ذكر العلة، أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يَتَعَمَّد المنكرُ.

الخامسة: كلام ابن عباس لمن استنكر شيئًا من ذلك، وأنه أهلكه.

باب قول الله تعالى

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل/ ٨٣].

قال مجاهد ما معناه "هو قول الرجل: هذا مالى، ورثته عن آبائي".

وقال عون بن عبد الله لولَا فُلَانُ لَمَ يَكُنْ كَذَا.

وقال ابن قتيبة ـ يقولون ـ هذا بشفَاعَة آلهتنا.

وقال أبو العباس: "بعد حديث زيد بن خالد" الذى فيه "وأن الله تعالى قال: أصبَح مْن عبادي مُؤمنٌ بي وكافر" الحديث وقد تقدم ـ وهذا كثير فى الكتاب والسَنةَ، يذم سبحانه من يضيف إنعَامهُ إلى غيره ويشرك به.

وقال بعض السلف ـ هو كقولهم كانت الرِّيحُ طيبة والملاح حَاذقًا، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثيرة.

فيه مسائل

الأولى: تفسير معرفة النعمة وإنكارها.

الثانية: معرفة أن هذا جار على ألسنة كثيرة.

الثالثة: تسمية هذا الكلام إنكارًا لِلنّعِمَةِ.

الرابعة: اجتماع الضدين فى القلب.

باب قول الله تعالى

﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/ ٢٢]

قال ابن عباس فى الآية: "الانداد هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على

صَفاة سوداء فى ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحَيَاتك يا فلان وحياتى، وتَقوُل لولا كُلَيبة هذا لأتانا اللُّصُوص، ولولا البط فى الدار لأتانا اللصوص، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت. وقولُ الرَّجُلِ: لولا الله وفُلان، لا تجعل فيها فُلانًا، هذا كله به شرك" رواه ابن أبي حاتم.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من حَلَفَ بِغَيْرِ الله فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ" رواه الترمذى وحسنه وصححه الحاكم.

وقال ابن مسعود: "لأن أَحْلِفَ بالله كَاذِبًا أحبُّ إِلَّي من أن أَحْلِفَ بغيره صَادِقًا".

وعن حذيفة رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: "لا تقُولُوا ما شاء الله ومَا شَاءَ فُلَانٌ ولكن قولوا: مَا شَاء الله ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ" رواه أبو داود بسند صحيح.

وجاء عن إبراهيم النخعى: أنه يَكره أَعُوذ بالله وَبِكَ. ويجوز أن يَقُولَ بالله ثم بك، قال وَيَقُولُ لَوْلَا الله ثُمَّ فُلان، ولا تقول لولا الله وفلان.

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية البقرة فى الأنداد.

الثانية: أن الصَّحَابة يفسِّرون الآية النازلة فى الشرك الأكبر بأنها تعم الأصغر.

الثالثة: أن الحلف بغير الله شرك.

الرابعة: أنه إذا حلف بغير الله صادقًا فهو أكبر من اليمين الغموس.

الخامسة: الفرق بين الواو ثم فى اللفظ.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن عمر ـ أن رسولَ الله ﷺ قال: (لا تَحْلِفُوا بآبائكم مَنْ حَلَفَ بالله فلْيصدُقْ ومنْ حُلف لهُ بالله فَليَرْض، ومن لمْ يرْض فلَيسَ مِنَ الله) رواه ابن ماجه بسند حسن.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن الحلف بالآباء.

الثانية: الأمر للمحلوف له بالله أن يرضى.

الثالثة: وعيد من لم يرضى.

باب قول (ما شاء الله وشئت)

عن قتيلة ـ (أن يهوديًا أتى النَّبي ﷺ فَقَالَ إنكم تشركون تقولون ما شَاءَ اللهُ وشِئْتَ. وتقولون: الكَعْبَة: فأمَرَهُمُ النَّبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يَحْلِفُوا أن يَقُولُوا: وَرَبِّ الكَعْبَة وأن يقولوا: (مَا شَاءَ الله ثُمَّ شئت). وراه النسائى وصححه.

وله أيضًا عن ابن عباس "أن رَجُلًا قَالَ للنبي ﷺ مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ فقال أجَعَلتَنِي لله نِدًّا؟ بل مَا شَاءَ اللهُ وَحدَهُ".

ولابن ماجه عن الطفيل أخى عائشة لأمها قال: (رَأَيتُ كأني أتَيتُ عَلَى نَفَرٍ منَ اليَهُود ـ قلت: إنكم لأنتُمُ القَوْم لَوْلَا أنكم تقولون ـ ما شاء الله وشَاء مُحَمدٌ. ثم مَررت بِنفر من النصَارى فقلت: إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله. قالوا: وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما

شاء الله وشاء مُحَمَّدٌ، فَلَمَّا أَصْبَحتُ أَخْبَرْتُ بِهَا مَنْ أخبرت، ثم أتيتُ النبيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُه. قال: هل أخبَرْتُ بها أحدًا؟ قلت: نعم. قال فحَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال: أما بَعْدُ فإنَّ طفيلا رأى رُؤيَا أَخْبَرَ بها مَنْ أخبَرَ منكم. وأنكم قلتم كلمةً يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها. فَلَا تَقُولُوا مَا شَاء الله وشَاءَ مُحَمَّدٌ. وَلكن قُولوا ما شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ).

فيه مسائل

الأولى: معرفة اليَهُود بالشرك الأصغر.

الثانية: فهم الإنسان إذا كان له هوى.

الثالثة: قوله ﷺ: "أجَعَلْتَنِي لله نِدًّا" فكيف بمن قال: "يا أَكْرَمَ الخلق مَا لِي مَنْ ألوذ به سِوَاك" والبيتين بعده.

الرابعة: أن هذا ليسَ مِنَ الشركِ الأكبر. لقوله "يمنعني كذا وكذا".

الخامسة: أنها الرؤيَا الصَّالحة من أقسام الوحي.

السادسة: أنها قد تكون سَبَبًا لشرع بعض الأحكام.

باب من سب الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [الجاثية/ ٢٤].

وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قَالَ الله تَعالَى يُؤذِيني ابن آدم. يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأنا الدَّهْرُ أقلِّبُ اللَّيل والنَّهار).

وفي رواية "لا تسبُّوا الدَّهرَ. فَإنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ".

فيه مسائل

الأولى: النَّهْىُ عَن سَبِّ الدَّهرِ.

الثانية: تسْميته أذى لله.

الثالثة: التأمل فى قوله: "فَإِنَّ اللهَ هُو الدَّهْرُ".

الرابعة: أنه قد يكون سَاَبًا. ولو لم يقصده بقلبه.

باب التَّسمِّى بقاضِى القُضَاة ونحوه

فى الصَّحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إنَّ أخْنَعَ أسمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاك. لَا مَالِك إلَّا الله".

قال سفيان: مثل شاهان شاه.

وفى رواية: "أَغْيَظُ رَجلٍ على الله يوْمَ القِيَامَة وأخْبثُهُ".

قول: (أخنع) يعنى: أوضع.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن التَّسَمِّي بملك الأملاك.

الثانية: أن ما فى معناه مثله. كما قال سفيان.

الثالثة: التفطن للتغليظ فى هذا ونحوه. مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه.

الرابعة: التفطن أن هذا الإجلالَ لله سبحانه.

باب احترام أسماء الله تعالى، وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم. فقال له النبي ﷺ: إن الله هو

الحَكَمُ وإليه الحُكْم. فقال: إِنَّ قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فَرِضِيَ كلا الفريقين، فقال: ما أحسن هذا، فَمَا لك من الولد؟ قلت: شريح. ومسلم. وعبد الله، قال: فَمِنَ أَكْبَرُهُم؟ قلت: شريح، قال: فأنت أبو شريح. رواه أبو داود وغيره.

فيه مسائل

الأولى: احترام صفات الله وأسماء الله ولو لم يقصد معناه.

الثانية: تغيير الاسم لأجل ذلك.

الثالثة: اختيار أكبر الأبناء للكنية.

باب من هزل بشئ فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول

وقول الله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [التوبة/ ٦٥].

وعن ابن عُمَرَ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة، دخل حديث بعضهم في بعض: أنه قال رَجُلٌ في غزوة تبوك (مَا رَأَينَا مثلَ قِرَائِنَا هَؤُلاءِ أرغبَ بُطونًا ولا أَكْذَبَ أَلْسُنًا. ولا أَجْبَنَ عِند اللقاء ـ يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ـ فقال له عوف ابن مالك. كذبت. ولكنك منافق لأخبرن رسول الله ﷺ فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ لِيُخْبِرَه فَوَجَدَ القرْآنَ قَد سَبقَهُ فَجَاءَ ذلك الرَّجُلُ إلى رسول الله ﷺ. وقد ارتَحَلَ وَرَكِبَ ناقته. فقال: يَا رَسُولَ الله إنما كنا نَخُوضُ ونتَحَدَّثُ حَدِيثُ الركب، نقطعُ به عَنَّا الطريق.

قال ابن عمر: كأني أنظرُ إليه متعلقًا بنسعة ناقةِ رسول الله ﷺ وإن الحجَارة تنكُبُ رِجلَيه، وهو يقول: (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) فيقولُ لَهُ

رَسُولُ الله ﷺ: (أبالله وآيته وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهزِئُونَ)؟ مَا يَلتفتُ إِليه ومَا يَزِيدُه عليه.

فيه مسائل

الأولى: وهي العظيمة. أن مَنْ هَزَل بهذا فإنَّهُ كَافِر.
الثانية: أن هذا تفسير الآية فيمَنْ فعل ذلك كائِنًا من كان.
الثالثة: الفرق بين النميمة والنصيحة لله ولرسوله.
الرابعة: الفرق بين العَفْوِ الذي يحبُّه الله وَبَيْنَ الغِلْظَةِ على أعْدَاءِ الله.
الخامسة: أنَّ مِنَ الأعذار ما لا يَنْبَغي أن يُقْبَل.

باب ما جاء في قول الله تعالى

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾[فصلت/ ٥٠].
قال مجاهد: هذا بعملي، وأنا محقوق به.
وقال ابن عباس يريد: من عندي.
وقوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[القصص/ ٧٨].
قال قتادة: عَلَىَ علمٍ مني بوجوه المكاسب.
وقال آخرون: على علم من الله أني له أَهْلٌ.
وهذا معنى قول مجاهد: أوتيته على شَرَفٍ.
وعن أبي هريرة أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: "إنَّ ثلاثةً مِن بني إسرائيل: أبرصَ وأقرَعَ وأعْمَى، فأرادَ اللهُ أن يَبْتَلِيَهُم، فبعَثَ إليهم مَلَكًا فأتى الأبْرصَ فقال: أَيُّ شيءٍ أَحَبُّ إليكَ؟ قال: لونٌحَسَنٌ، وَجلدٌ حَسَنٌ، ويذهبُ عَنِّي الذي قَذِرَني الناسُ به قال فَمَسَحَهُ، فذهبَ عنه قَذَرُهُ، فأُعْطِيَ

لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قال فأيُّ السَّمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الإِبلِ أو البقر - شك اسحاق، فأعطِيَ ناقةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ بَارِكَ الله لَكَ فيهَا. قال. فَأَتَى الأقرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: شَعْرٌ حَسَنٌ، وَيَذْهبُ عني الذي قَذِرَنِي النَّاسُ بِهِ، فَمَسَحَهُ فذهبَ عَنه، وأُعطِيَ شَعْرًا حَسَنًا، فَقَال أيُّ السَّمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال البقرُ أو الإبِلُ، فأُعْطِيَ بقرةً حَامِلاً، قال: بَارَكَ الله لَكَ فيهَا.

قال: وأتى الأعْمَى فَقَال: أيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال أن يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ به النَّاسَ، فمَسَحَهُ فَرَدَّ الله إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فإِيُّ السَّمالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الغَنَمُ، فأُعْطِيَ شَاةً وَالدًا فَأُنتِجَ هَذَان وَوَلَدَ هَذَا. فكان لِهَذَا وَادٍ مِنْ الإِبِلِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ الْبَقَرِ، وَلِهَذا وَادٍ مِنْ الْغَنَمِ.

قَالَ: ثمَّ إِنَّه آتى الأبرَصَ في صُورَتِهِ وهَيْئَتِه فَقَال: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبيلٍ قَد انقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي، فَلاَ بَلاَغَ لِيَ الْيَوْمَ إِلَّا بِالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بالَّذِي أعطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ والجِلْدَ الحَسَنِ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتبَلَغُ بِهِ في سَفَرِي، فَقَال: الْحُقُوق كثيرة فَقَالَ لَهُ: كأني أَعْرِفُكَ؟ ألم تكن أبرَصَ يقْذَرُك النَّاسُ، فقيرًا فأعطاك الله عزَّ وَجَلَّ الْمَالَ؟ فقال: إِنَّما وَرِثْتُ هَذَا الْمالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فقالَ: إن كُنتَ كَاذِبًا فصَيَّرَكَ اللهُ إِلَى مَا كُنتَ، قَال: ثمَّ إِنَّهُ إِتَى الأَقْرَعَ في صُورَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيْه مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذا، فَقَال إنْ كنْتَ كاذبًا فصَيَّرَك اللهُ إلى ما كُنْتَ. قَالَ وَأَتَى الْأَعْمَى في صُورَتِهِ فقال: رَجُلٌ مِسْكينٌ وابنُ سَبيلٍ قد انقطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ في سَفَرِي فَلَا بَلَاغ لِيَ اليَوْمَ إِلا بالله ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَركَ شاةً أتبلَّغُ بهَا في سَفَرِي. فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أعْمَى فَرَدَّ الله إِلَيَّ بَصَرِي. فَخُذْ مَا شِئْتَ، وَدَعْ

مَا شِئْتَ. فَوَ الله لا أُجْهِدُكَ اليوم بشيءٍ أخذْتَه لله. فقال: أَمْسِكْ مَالَكَ فإنَّمَا ابْتُلِيتُم فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ، اخرجاه.

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآية.

الثانية: ما معنى (لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي).

الثالثة: ما معنى قوله (أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي).

الرابعة: ما في هذه القصة العجيبة من العبر العظيمة:

باب قول الله تعالى

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الاعراف/ ١٩٠].

قال ابن حزم: اتفقُوا عَلَى تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعَبْدِ عُمَرَ، وعَبْدِ الكَعْبَة، وما أشبه ذلك، حاشا عَبْد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية، قال: لَمَّا تَغَشَّاهَا آدَمُ حَمَلَتْ فأتاهُمَا إبليسُ فقال: إنِي صَاحِبُكمَا الَّذِي أخرَجَكُمَا مِنَ الجَنَّةِ لَتُطِيعَانِي أو لأجْعَلَنَّ لَهُ قرنَيْ أيل فَيَخْرُجَ من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن، يُخَوِّفهما، سَمِّيَاهُ عَبْدَ الحَارث، فأبَيَا أن يطيعَاه فخرج مَيِّتًا، ثم حَمَلَتْ فأتاهُمَا فقال مثل قوله فأبيَا أن يُطيعَاه فخرَجَ ميِّتًا. ثم حَمَلت فأتاهُمَا فذكَرَ لهُمَا، فأدركَهُمَا حُبُّ الولد، فسمياه عبد الحارث فذلك قوله: (جَعَلاَ لَهُ شرَكَاءَ فيمَاءَاتهُمَا). رواه ابن أبي حاتم.

وله بسَند صحيح عن قتادة قال: شرَكَاء في طَاعَتِهِ ولم يكن في عِبَادته.

وله بسند صحيح عن مجاهد فى قوله: ﴿ لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا ﴾[الأعراف/ ١٨٩] قال: اشفقا أن لا يكون إنسانًا.

فيه مسائل

الأول: تحريم كل اسم مُعَبَّدٍ لِغَيْرِ الله.

الثانية: تفسير الآية.

الثالثة: أن هذا الشرك فى مجرد التسمية لم تقصد حقيقتها.

الرابعة: أَنَّ هِبَةَ الله لِلرَّجُل البِنْتَ السَّوِيَّةَ، مِنَ النِّعَمِ.

الخامسة: ذكر السلَف الفرق بين الشرك فى الطاعة والشرك فى العبادة.

باب قول الله تعالى

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ﴾ [الأعراف/ ١٨٠].

ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس (يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ) يشركون.

وعنه: سموا اللَّات من الإله. والعُزَّى من العزيز.

وعن الأعمش: يُدْخِلُونَ فيها مالَيسَ مِنْها.

فيه مسائل

الأول: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدُعائه بها.

الرابعة: تَرْكُ مَنْ عَارَضَ مِن الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد بها.

باب لا يقال السلام على الله

فى الصَّحيح عن ابن مسعود رضىَ الله عنه قال: كنا إذا كنا مع النبى ﷺ. قلنا: السَّلاَمُ عَلَى الله مِنْ عِبَادِهِ. السَّلاَمُ عَلَى فلان وفلان. فَقَالَ النبيُّ ﷺ : "لا تَقُولُوا: السَّلامُ عَلَى الله فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلامُ".

فيه مسائل

الأولى: تفسير السَّلام.

الثانية: أنه تحِيّة.

الثالثة: أنها لا تَصْلُح لله.

الرابعة: العِلّة فى ذلك.

الخامسة: تعليمهم التحية التى لا تصلح لله.

باب قول: اللَّهم اغفر لي إن شئت

فى الصحيح عن أبي هريرة أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: "لا يقُلْ أحَدُكُم - اللهم اغفِرْ لي إنْ شِئتَ. اللهم ارْحمْني إن شئْتَ. لِيَعزم المَسْألة. فإنَّ الله لا مُكْرِهَ لَهُ".

ولمسلم "ولِيُعَظِّم الرَّغْبَةَ فَإِنَّ الله لاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أعْطَاهُ".

فيه مسائل

الأول: النّهْىُ عَنِ الاستثناء فى الدعاء.

الثانية: بيان العلة فى ذلك.

الثالثة: قوله "لِيَعْزِم المسْأَلَةَ".

الرابعة: اعظام الرغبة.

الخامسة: التعليل لهذا الأمر.

باب لا يقل: عبدي وأمتي

في الصَّحِيحِ عن أبي هريرة ـ أن رسُولَ الله ﷺ قال: "لا يَقُلْ أَحَدُكُمْ أَطْعِمْ رَبَّكَ. وَضِّيءْ رَبَّكَ. وَلِيَقُلْ: سَيِّدِي وَمَوْلاَيَ. وَلا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي وَأَمِتي. وَلِيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمي".

فيه مسائل

الأولى: النهي عن قول عبدي وأمتي.

الثانية: لا يقول العبدُ لسيده.. ربي، ولا يُقالُ له: أطعم ربَّك.

الثالثة: تعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي.

الرابعة: تعليم الثاني قول: سيدي ومولاي.

الخامسة: التنبيه للمراد، وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ.

باب لا يرد من سأل الله

عن ابن عمر رَضِيَ الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: من سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، ومَن اسْتَعَاذَ بالله فَأَعِيذُوهُ، ومَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوه، ومَنْ صَنَعَ إِلَيْكُم مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِن لَمْ تَجِدُوا ما تكَافِئُونَه فَادْعُوا لهُ حَتَّى تَرَوْا أنكُم كَافأْتُمُوهُ. رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح.

فيه مسائل

الأولى: إعاذة من استعاذ بالله.

الثانية: إعطاء من سأل بالله.

الثالثة: إجابة الدعوة.

الرابعة: المكافأة على الصَّنيَعة.

الخامسة: أن الدُّعَاء مُكافأة لمن لم يقدر إلاَ عليه.

السادسة: قوله حتى تَرَوْا أنكم قد كافأتموه.

باب لا يُسْأَلُ بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لَا يُسْأَلُ بِوَجْه الله إِلاَّ الْجَنَّة" رواه أبو داود.

فيه مسائل

الأولى: النهْيُ عن أن يُسْأَلَ بَوجْه الله إلا غاية المطالب.

الثانية: إثبات صفة الوجه.

باب ما جاء في اللّو

وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ﴾[آل عمران/ ١٥٤]. وقوله: الآية ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾[آل عمران/ ١٦٨].

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُك، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تعْجَزَنَّ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لوْ أَنِّي فَعَلْتُ كذا لكان كذا وكذا، وَلكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ".

فيه مسائل

الأولى: تفسير الآيتين في آل عمران.

الثانية: النَّهْيُ الصَّرِيحُ عن قول "لَوْ" إذا أصَابَكَ شَيْءٌ.
الثالثة: تَعْلِيلُ المسألة بأن ذلك يَفتَحُ عَمَل الشَّيْطَانِ.
الرابعة: الإرشاد إلى الكلام الحَسَن.
الخامسة: الأمرُ بالحِرْص عَلَى ما يَنفع مَعَ الاسْتِعَانة بالله.
السادسة: النهْيُ عَن ضِدِّ ذَلِكَ. وَهُوَ العَجْزُ.

باب النهى عن سَبِّ الرِّيح

عنْ أُبَيِّ بن كَعْبٍ رَضِيَ الله عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قال: لَا تَسُبُّوا الرِّيح فَإِذَا رَأيتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: "اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْألُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيح وخَيْرِ مَا فِيهَا. وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيح وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ" صححه الترمذى.

فيه مسائل

الأولى: النهى عن سَبِّ الريح.
الثانية: الإرشاد إلى الكلام النافع إذا رَأى الإنسانُ ما يكره.
الثالثة: الإرشاد إلى أنها مَأمُورَة.
الرابعة: أنها قد تُؤمَرُ بخيرٍ وقد تؤمرُ بشرٍّ.

باب قول الله تعالى

﴿ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [آل عمران/ ١٥٤].
وقوله: ﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ [الفتح/ ٦].
قال ابنُ القيم الآية الأولى:

فَسَّرَ هذا بأنه سُبْحَانه لا ينصرُ رَسُولَه. وأنّ أمْرَهُ سَيَضْمَحِل.

وفُسَّرَ بظِنْهِم أن مَا أصَابهم لم يكن بقَدَرِ الله وحكْمَتِهِ.

فَفُسِّرَ بِإنكار الحكمَةِ، وإنكار القَدَرِ. وإنكَارِ أن يَتِمَّ أمْرُ رَسُولِهِ ﷺ، وأن يُظهره على الدِين كله.

وهذا هُوَ ظَنُّ السّوء. الذى ظَنَّه المنافقُون والمشركُون فى سورة الفتح.

وإنما كان هذا ظن السّوء لأنه ظَنُّ غَيْرِ ما يليقُ بِهِ سُبْحَانه. وما يليقُ بحكمته وحَمْدِه وَوَعْدِه الصَّادق.

فَمَنْ ظن أنه يُدِيلُ الباطلَ على الحق إدالَةً مُستقرةً يَضْمَحِلُّ معها الحقُّ.

أو أنْكَرَ أن يكونَ ما جَرَى بقضَائِهِ وقدَرِه.

أو أنكر أن يكونَ قَدَرُه لحِكْمَةٍ بالغةٍ يَسْتحقُّ عَلَيْهَا الحَمْدَ بل زَعَمَ أن ذلك لمشيئةٍ مُجَرَّدَةٍ فذلك ظَنُّ الذِيَن كَفَرُوا.

فَوَيلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ.

واكثرُ النَّاسِ يَظنونَ بالله ظَنَّ السوء فيما يختصُّ بِهِمْ وفيما يفعله بغَيْرِهِمْ ولا يَسْلَمُ من ذلك غلا مَنْ عَرَفَ الله، وأسْمَاءه، وصِفاته. وموجب حكمته وحمده.

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لنفسه بهذَا، وليتُبْ إلى الله ويستغفره مِنْ ظَنّهِ بربهِ ظَنَّ السوء.

ولو فَتَّشتَ مَنْ فَتَّشتَ لَرَأيتَ عنده تَعَنُّتًا على الْقَدَرِ وملامة له.. وأنّهُ كَانَ ينبغي أن يكونَ كذا وكذا، فَمُسْتَقِلٌ وَمُسْتَكْثِرٌ، وفتش نَفْسَكَ هل أنتَ سَالم؟

فَإن تَنجُ مِنْهَا تَنجُ مِن ذِي عَظِيمَةٍ

وَإلا فَإنّــي لَا إخَــالُــكَ نَاجِــيًا

فيه مسائل

الأولى: تفسير آية آل عمران.

الثانية: تفسير آية الفتح.

الثالثة: الإخبار بأن ذلك أنواع لا تُحْصَرُ.

الرابعة: أنه لا يَسْلمُ مِنْ ذلك إلا مَنْ عرف الأسْمَاءَ والصِّفات وَعَرَفَ نَفْسَهُ.

باب ما جاء في منكري القدر

وقال ابنُ عمر: والَّذى نَفْسُ ابنِ عُمَرَ بيده، لَوْ كَانَ لأَحَدِهِمْ مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، ثُمَّ أَنفَقَهُ فِي سَبِيلِ الله مَا قَبِلَهُ اللهُ مِنْهُ، حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، ثم اسْتَدَلَّ بِقَوْلِ النبيِّ ﷺ: الإِيمَانُ أن تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِر، وتؤمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. رَوَاهُ مُسْلِم.

وعَنْ عَبَادة بْن الصَّامِت أَنَّهُ قَالَ لابنه: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَن تَجِدَ طَعْمَ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أن مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لمْ يَكن لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَال: اكتب مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ.

يَا بُنَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي".

وفى رواية لأَحْمَدَ: "إنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى الْقَلَمَ، فَقَالَ له: اكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْم القِيَامَةِ".

وفى رِوَايَةٍ لابن وَهْب ـ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: (فَمَنْ لَمْ يُؤْمِن بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ أَحْرَقَهُ اللهُ بِالنَّارِ).

وَفِي الْمُسْنَدِ وَالسُّنَنِ عَنِ ابْنِ الدّيلمي. قال: (أَتَيْتُ أُبَيَّ ابنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ لَهُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ: فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ، لَعَلَّ الله يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي فَقَالَ: لَوْ أنفقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا قَبِلَهُ الله مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بالقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُن لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُن لِيُصِيبَكَ، وَلَوْمتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، قال: فأَتَيْتُ عَبْدَ الله بْنَ مَسْعُودٍ، وَحُذَيفَةَ بْنَ الْيمانِ وَزَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ، فَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ. حديث صحيح رواه الحاكم في صحيحه.

فيه مسائل

الأولى: بيان فرض الإيمان بالقدر.

الثانية: بيان كيفية الإيمان به.

الثالثة: إحباط عَمِل من لم يُؤمن به.

الرابعة: الآخبار بأن أَحَدًا لا يجد طعْمَ الإيمان حتى يؤمن.

الخامسة: ذِكْر أولِ مَا خَلَقَ اللهُ.

السادسة: أنه جَرَى بالمقادِيرِ في تِلْكَ السَّاعَةِ إِلَى قِيام الساعة.

السابعة: بَرَاءَتُهُ ﷺ مِمَّنْ لم يُؤمن به.

الثامنة: عَادَةُ السَّلَفِ في إِزَالَةِ الشبْهَةِ بِسُؤَالِ العُلَمَاء.

التاسعة: إن العلماء أجابُوه بما يُزِيل شبهته، وذلك أنهم نَسَبُوا الكَلَامَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فقط.

باب ما جاء في المصورين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: قال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً. أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً". أخرجاه.

وَلَهُمَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا - أن رَسُولَ الله ﷺ قال: "أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهِئُونَ بِخَلْقِ الله".

ولهما عن ابن عَبَّاس سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُول: "كُلُّ مُصَوِّرٍ فى النَّار يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ يُعذَّبُ بهاَ فِي جَهَنَّمَ".

ولهما عنه مرفوعا - (مَنْ صَوَّر صُورَةً في الدُّنْيا كُلِّفَ أنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بَنافخ).

ولمُسْلِم عن أبي الهياج: قال: قال لي عَلِيّ: ألا أَبْعَثُك عَلَى ما بَعَثَنِي عَلَيْه رَسُولُ الله ﷺ؟ أن لَا تَدَعَ صُورَةً إلا طَمَسْتَهَا، ولا قَبْرًا مُشرفًا إلاَّ سَوَّيْتَهُ.

فيه مسائل

الأولى: التغليظ الشديدُ فى المصَوِّرينَ.

الثانية: التنبيه على العلّة وهو ترك الأدب من الله، لقوله: "ومن أظلمُ ممن ذهَبَ يخلق كخلقي".

الثالثة: التنبيه على قدرته وعجْزهم، لقوله: "فليخلُقوا ذَرَّةً أو شعيرة".

الرابعة: التصْريح بأنهم أشدُّ الناس عذابًا.

الخامسة: أن الله يخلق بعدَدَ كل صورة نفسًا يعذب بها المصوِّرَ في جهنم.

السادسة: أنه يُكلفُ أن ينفخَ فيها الروحَ،

السابعة: الأمر بطمْسِهَا إذا وجدت.

باب ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَـٰنَكُمْ﴾[المائدة/ ٨٩].

عن أبي هُرَيْرَة رضيَ الله عنه: قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: "الْحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ" أخرجاه.

وعن سَلْمَانَ: أن رَسُولَ الله ﷺ قال: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم اللهُ ولا يُزكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أليمٌ: أُشَيْمِطٌ زَانٍ، وَعَائِلٌ مُسْتكبِرٌ، وَرَجُلٌ جَعَلَ الله بِضَاعتهُ لا يَشْتَرِى إلاَّ بيَمِينِهِ، وَلا يَبِيعُ إلاَّ بِيَمِينِهِ" رواه الطبراني بسند صحيح.

وفي الصَّحِيح عن عِمْرَان بن حصين رضيَ الله عنه قال: قال: رَسُولُ الله ﷺ: "خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثمّ الَّذِينَ يلُونَهُمْ (قال عمْران فَلَا أدْرِي أذَكَرَ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أو ثَلاثًا) ثمَّ إن بَعْدكُم قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذُرُونَ وَلَا يُوفُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ".

وفيه عَن ابْنِ مَسْعُود أنَّ النبي ﷺ قال: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ".

وقال إبراهيم: كانُوا يَضربُونَنَا عَلَى الشَّهَادَةِ والْعَهْدِ وَنَحْنُ صِغَارٌ.

فيه مسائل

الأولى: الوصيَّة بحفظ الأيمان.

الثانية: الأخبَارُ بأنّ الحلفَ مَنفَقَة لِلسِّلْعَةِ، ممحَقَةٌ لِلْبَرَكة.

الثالثة: الوعيد الشديدُ فيمَن لا يبيعُ إلا بيَمِينهِ وَلّا يشترى إلا بيمينه.

الرابعة: التنبيه على أن الذنبَ يعْظَمُ مَعَ قِلّة الدَّاعِى.

الخامسة: ذم الذينَ يَحْلِفوُن ولا يُسْتَحْلفُون.

السادسة: ثناؤه ﷺ على القرُون الثلاثة أو الأربَعة. وذكر ما يَحْدُثُ بَعْدَهُمْ.

السابعة: ذم الذين يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ.

الثامنة: كَوْن السّلف يضْرِبُون الصِّغار عَلى الشهّادة والعَهْد.

باب ما جاء فى ذِمّة الله وذِمّة نَبِيِّه

وقول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل/ ٩١].

عن بريدة قال: "كان رسولُ الله ﷺ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلى جَيْشٍ أو سَرية أوصَاه بِتَقْوَى الله. ومَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خيرًا.

فقال: أغزُوا بِاسْمِ الله، فِي سَبِيلِ الله. قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله، اغزُوا، وَلا تُغلُوا، وَلا تَغدِرُوا، ولا تُمَثِلُوا، وَلا تَقْتُلُوا وَلِيدًا. وإذا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِن الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاثِ خِصَالٍ - أوْ خِلَالٍ - فَأَيّتهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ. ثُمَّ ادعُهُمْ إِلى الإِسْلام فَإن أجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُم. ثُمَّ

ادْعُهُم إِلَى التَّحَوُّلِ من دَارِهِمْ إِلى دَار المُهَاجِرِينَ وأخبِرْهُمْ أنهم إن فَعَلُوا ذَلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِين وَعَلَيْهم مَا عَلى المُهَاجِرينَ. فَإِنْ أَبَوْا أن يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهمْ أنهُم يَكونُونَ كَأَعْرَابِ المُسْلِمِينَ يَجْرِى عَلَيْهِم حَكْمُ الله تَعَالى. وَلا يَكُونُ لَهُمْ فى الغَنِيمَةِ وَالفَيْءِ، إِلا أن يُجَاهِدُوا مَعَ المُسْلِمِينَ. فإن هُمْ أَبَوْا فَاسْأَلْهُم الجِزْيَةَ. فإن هُمْ أجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ. وَكُفَّ عَنْهُمْ. فإن هُم أبَوْا فَاسْتَعِنْ بالله وَقَاتِلْهُمْ.

وَإِذا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْن فَأَرَادُوك أن تجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وذمَّةَ نَبِيِّه فلا تجْعَلْ لهُم ذمَّةَ الله وذمَّة نبيه. ولكن اجْعل لهُم ذِمَّتَكَ وذمَّة أصْحَابِكَ، فَإِنكُمْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذمَّة أصْحَابِكُم أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفِرُوا ذِمَّةَ الله وذمَّةَ نَبِيِّه، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوك أَنْ تُنزِلَهُم عَلى حُكْمِ الله. فلاَ تُنزلهم عَلى حُكْمِ الله وَلكن أنزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فإنَّك لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ الله أمْ لاَ" رواه مسلم.

فيه مسائل

الأولى: الفرق بَيْنَ ذمة الله وذمة نبيه وذمة المسْلِمِين.

الثانية: الإرشادُ إلى أقل الأمرين خطرًا.

الثالثة: قوله: "اغزوا بسم الله فى سبيل الله".

الرابعة: قوله: "قاتلوا مَنْ كَفَرَ بالله".

الخامسة: قوله: "اسْتَعِنْ بالله وقاتلهم".

السادسة: الفرق بين حُكْمِ الله وحكم العُلَمَاءِ.

السابعة: في كون الصَّحَابي يحكم عِنْدَ الحَاجَة بحكم لا يَدْرِي أيوافق حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا؟

باب ما جاء في الأقسَام على الله

عن جِنْدب بن عبْد الله رَضِيَ الله عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: "قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أن لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ" رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة: "إن القَائِلَ رَجُلٌ عَابد: قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ".

فيه مسائل

الأولى: التحذيرُ مِن التَّأَلِّيّ عَلَى الله؟

الثانية: كون النار أقرب إلى أَحَدِنَا من شِرَاك نَعْلِهِ.

الثالثة: أَنَّ الجنَّةَ مثل ذلك.

الرابعة: فيه شاهدٌ لقوله: "إن الرجُلَ ليتكلم بالكَلِمَةِ" إلى آخره.

الخامسة: أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يُغْفَرُ لَهُ بِسَبَبٍ هُوَ مِنْ أَكْرَهِ الأُمُورِ إِلَيْهِ.

باب لا يُسْتَشْفَعُ بالله على خلقه

عن جُبَيْر بن مطعم رضِيَ اللهُ عَنْه قال: (جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَارَسُولَ الله، نُهِكَتْ الأَنفُسُ وَجَاعَ العِيَالُ. وَهَلَكَتْ الأَمْوالُ. فَاسْتَسْقِ لَنَا رَبَّكَ، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللهِ ـ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: سُبْحَانَ اللهِ!

سُبْحَانَ اللهِ! فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَيْحَكَ: أَتَدْرِي مَا اللهُ؟ إِنْ شَأْنَ اللهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ. إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) وذكر الحديث رواه أبو داود.

الأولى: الإنكارُ عَلَى مَنْ قال: "نَسْتَشْفِعُ بِاللهِ عَلَيْكَ".

الثانية: تغيره تغيرًا عُرِفَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ مِنْ هَذِهِ الكلمة.

الثالثة: أنه لم يُنْكِرْ عَلَيْهِ قوله: "نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللهِ".

الرابعة: التنبيه على تفسير "سُبْحَانَ اللهِ".

الخامسة: أن المُسْلِمِينَ يَسْأَلُونَ الاسْتِسْقَاءَ.

باب ما جاء في حماية النبي (ﷺ) حمى التوحيد، وسده طرق الشرك

عن عَبْدِ اللهِ بن الشخير رَضِيَ اللهُ عَنْه قال: (انْطَلَقْتُ فِي وَفْدِ بَنِي عَامِرٍ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقُلْنَا: أَنتَ سَيِّدُنَا، فَقَالَ: السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قُلْنَا: وأَفْضَلُنَا فَضْلًا، وأَعْظَمُنَا طَوْلًا، فقال: قُولُواْ بِقَوْلِكُمْ، أَوْ بعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجْرِينَّكُمْ الشَّيْطَانُ). رواه أبو داود بسند جيد.

وعن أنس رَضِيَ الله عنه: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، يَا خَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا، وَسَيِّدَنَا. يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا بِقَوْلِكُمْ ولا يَسْتَهْوِينَّكُمُ الشَّيْطانُ، أنا مُحَمَّدُ بنُ عبْدِ اللهِ ورَسُولُهُ. مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتي التي أَنْزلني الله عزَّ وجلَّ). رواه النسائي بسند جيد.

فيه مسائل

الأولى: تحذير الناس من الغلو.

الثانية: ما ينبغي أن يقول من قيل له "أنت سيدنا".

الثالثة: قوله "لا يستجرينكم الشيطان" مع أنهم لم يقولوا إلا الحق.

الرابعة: قوله: "ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي".

باب ما جاء في قول الله تعالى

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الزمر/٦٧]. عن ابْن مِسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ: (جَاء حَبْرٌ منَ الأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. فَقَال: يَا مُحَمَّدُ إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللهَ يَجْعَلُ السَّمَواتِ عَلَى إِصْبَعٍ. والأرضينَ على أصبع. والشجرَ على أصبع. والمَاءَ على أصبع والثَّرَى على أصبع وسَائِر على أصبع وسَائِرَ الخلقِ على أصبع. فيقولُ أنا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نواجذُه: تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الحَبْر ـ ثـم قـرأ: رسـولُ الله ﷺ ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ الآية.

وفي روَايَةٍ لمُسْلِمٍ: "والجِبَالُ والشجَرُ على أصبع ـ ثم يَهُزُّهُنَّ فيقولُ: أنا المَلِكُ أنَا اللهُ".

وفي رِوَاية البخاري: (ويَجْعَلُ السَّمَواتِ عَلَى أصبع ـ والمَاءَ والثَّرَى على أصبع؛ وسَائرَ الخلق على أصبع) أخرجاه.

ولمُسْلِمٍ عن ابن عُمَرَ مرفوعًا: "يَطْوِي الله السَّمَواتِ يَوْمَ القِيَامة ثم يأخُضُهنَّ بيدِهِ اليُمْنَي. ثم يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ ـ أين الجَبَّارُون أَيْنَ المُتَكَبِّرُون؟

ثم يَطوى الأرضِينَ السَّبْعَ - ثم يأْخُذُهُنَّ بشِمَاله - ثم يقولُ: أنا المَلِكُ، أين الجَبَّارُونَ؟ أين المُتَكَبِّرُونَ؟).

ورُوِىَ عن ابن عَبَّاسٍ قال: ما السَّمَواتُ السَّبْعُ والأرضُونَ السبع فِى كَفِّ الرَّحْمَن إلا كخَرْدَلَةٍ فى يَدِ أَحَدِكُم.

وقال ابن جرير: حدثني يونس أخْبَرَنَا ابن وَهْبٍ قال: قال: ابنُ زَيْدٍ حدثني أبي قال: قال رسُول الله ﷺ: "ما السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فى الكُرْسِىِّ إلا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِى تِرْسٍ" قال: وقال أَبُو ذَرٍّ رضِىَ الله عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: (مَا الْكُرْسِىُّ فى العَرْشِ إلا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَىْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ).

وعن ابن مسعود قال: بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنيَا وَالَّتِى تَلِيهَا خَمْسُمِائَةِ عامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاء وسماء خَمْسُمِائَة عام - وبين السَّماء السَّابعة والكرسى خمسمائة عام - وبين الكرسى والماء خمسمائة عام - وَالْعَرْشُ فَوْقَ المَاء - والله فَوْقَ العَرْشِ لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ من أعْمَالِكم) أخرجه ابن مهدى عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ورواه بنحوه المسعودي عن عاصمٍ عن أبى وائل عن عبد الله قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى قال: وله طرق. وعن العَبَّاس بن عَبْدِ المُطَّلِبِ رضى الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: (هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟ قُلْنَا: اللهُ ورَسُولُه أَعْلَمُ؟ قال بينهما مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ سَنَةٍ. ومنْ كُلِّ خَمْسِمِائَةِ سنةٍ. وَبَيْنَ السَّمَاء السَّابعة والعَرْش بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وأعْلَاه كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأرض والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفى عَلَيْه شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِى آدم) أخرجه أبو داود وغيره.

فيه مسائل

الأولى: تفسير قوله (والأرضُ جميعًا قبضته).

الثانية: أن هذه العلوم وأمثالها باقية عند اليهود الذين فى زمنه ﷺ ولم ينكرُوها ولم يتأَوَّلُوهَا.

الثالثة: أن الحبر لمَّا ذكر ذلك لِلنَّبِيِّ ﷺ صَدَّقَه. ونَزَلَ القرآنُ بتقرير ذلك.

الرابعة: وقوعُ الضَّحِكِ منه ﷺ لما ذُكَرَ الحَبْرُ هذا العِلْمَ العظيم.

الخامسة: التصْرِيحُ بذكْرِ اليَدَيْنِ. وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فى اليدِ اليُمْنَى. والأرضين فى اليدِ الأخرَى.

السادسة: التصْريح بتَسْمِيَتِهَا الشمال.

السابعة: ذكر الجبارين والمتكبِّرين عند ذلك.

الثامنة: قوله "كخَرْدَلَةٍ فى كَفِّ أحدكم".

التاسعة: عِظَم الكرْسى بالنسْبَةِ إلى السموات.

العاشرة: عَظَمَة العَرْشِ بالنسْبَة للكرسى.

الحادية عشرة: أن الْعَرْشَ غَيْرُ الكُرْسِى، والماءِ.

الثانية عشرة: كَمْ بيْنَ كُلِّ سَماء إلى سماء.

الثالثة عشرة: كم بين السَّماء السَّابِعة والكرسى.

الرابعة عشرة: كم بين الكرسى والماء.

الخامسة عشرة: أن العرش فوق الماء.

السادسة عشرة: أن الله فوق العرش.

السابعة عشرة: كم بين السَّماء والأرض.

الثامنة عشرة: كثف كل سماء خمسمائة سنة.

التاسعة عشرة: أن البحر الذى فوق السَّماوات بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة سنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّ الله على سيدِنَا محمد وعلى آله وصَحْبه أجمعين.

فهرس لكتاب التوحيد ـ والقول السديد

رقم الايداع : ٩١٩٠/ ٢٠١٠

الناشر
شركة القدس للنشر والتوزيع
٨ شارع جوهر - الدراسة - القاهرة
تليفون: ٢٥٩٣٢٠٥٧ - ٢٥٩٢٩١٥٣